

ترجمة وموازنة ونقد



تأليفه

عبد المتعال الصعيدى المدرس بكلية اللغة العربية

من كليات الجامع الازهر

الطبعة الاولى : حق الطبع محفوظ للمؤلف

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر

لصاحبها : محمود على صبيح



أحمده حمداً لا يحصى ثناؤه وأصلى على نبيه محمد وجميع أنبيائه — وبعد —

فانه إذا كان لاغنى لأمة من الأمم عن دين تصل به إلى الكمال فى سعادتها وعن علم تصل به إلى الكمال فى رفعتها ، فانه لاغنى لها أيضاً عن أدب تصل به إلى الكمال فى عواطفها ، فلا يغنيها الدين وحده عن العلم والأدب . ولا يغنيها العلم وحده عن الأدب والدين ، ولا يغنيها الأدب وحده عن الدين والعلم

والدين من بين الثلاثة خير محض ، أما العلم والأدب فقد يستخدما فى الشر استخدامهما فى الخير ، فلا تصل الأمة بهما إلى الكمال فى رفعتها وعواطفها بل تنحط بهما منزلتها وتفسد عواطفها

فيجب إذا أردنا أن ندرس الأدب درساً نافعاً أن نلاحظ فى درسه وظيفته التى تراد لصلاح الناس منه حتى يؤدي فيهم ماخلق له ، وإذا كنا قد غفلنا إلى الآن عن هذا فى درسه حتى أفسدنا به على امتنا عواطفها وأخلاقها ، وصار أدبها رسول شر فيها ، فانه قد آن لنا أن نشفق على هذه الأمة من هذه الدراسة الأدبية المفسدة ، وأن نستبدل بها دراسة أخرى صالحة ، وما أحسن لو يأتى هذا من ناحية الأزهر وكلياته ، وهو الذى يرجى الآن ذلك منه

وقد أردت أن أتقدم أمام الناس بهذا المثل من تلك الدراسة الأدبية الصالحة ، وسأتبعه بأمثال أخرى إن شاء الله تعالى

ميزان الشعر

يجب قبل أن نأخذ فى الموازنة بين هذين الشاعرين (امرىء القيس وعدى ابن زيد) أن نعرف الميزان الذى نزن شعر كل منهما به ونحكم به بينهما لنصل إلى حكم صحيح فيما يريد من إيثار أحدهما على الآخر بزعامة الشعر الجاهلى ، بل إن هذا الميزان إذا اهتدينا اليه ينفعنا فى الموازنة بين جميع الشعراء ويمكننا به أن نضع كل شاعر فى المنزلة التى تليق به ، ولا يكون هناك معه محل لهذا الاضطراب الكثير الذى منينا به فى ترتيب شعرائنا ووضعهم فى منازلهم اللائقة بهم بين شعراء عصرهم أو غيرهم ، وإنك لترى شاعرا يضعه بعض علماء الادب فى شعراء الطبقة الاولى ، ثم ترى غيره يضعه فى شعراء الطبقة الثانية ، ثم ترى ثالثا يضعه فى شعراء الطبقة الثالثة وهكذا، فاذا أردت أن تعرف الميزان الذى وزنوا به شعر هذا الشاعر ليضعوه فى الطبقة الاولى أو الثانية أو الثالثة لم تجد هناك ميزانا للشعر متفقا عليه بينهم ، وإنما هناك ذوق غامض لكل واحد منهم يرجع فى حكمه إليه ولا يمكنه أن يقنع به فى وضوح غيره ، بل إن أحدهم ليقول هكذا اقتضى ذوقى وكفى ، أو يقول إن ذلك أمر يختلف باختلاف الاذواق ، كأنما الموازنة الشعرية موازنة بين أذواق أولئك العلماء وليست موازنة بين أشعار الشعراء ، فاذا ذكروا فى موازنة ما شيئا لم يذكروا ما يصح أن يقدم به شاعر فى الاطلاق على غيره حتى لا يكون هناك خلاف بينهم فيه وانما يقدمونه ، من ناحية لا تمنع أن يقدم غيره من ناحية أخرى عليه ، كما يقدم أهل البصرة امرأ القيس من ناحية أوائله وسبقه ، ويقدم أهل الكوفة الأعشى نظرا الي كثرة طواله الجيدة ، ويقدم

أهل الحجاز زهيرا والنابغة نظرا الى حكمة زهير وقلة معاظلته وفضوله ، والى حسن ديباجة النابغة واستوائه ، فلاشك أن شيئا من ذلك لايقدم فى الاطلاق واحدا من هؤلاء الشعراء الاربعة على غيره ، وانما يقدمه ان صح به تقديم من الناحية الخاصة به ، ولايمنع تقديم غيره عليه من الناحية الاخرى الخاصة به ، فمثل هذه الامور الخاصة لاتصح أن تكون ميزانا عاما للشعر يوزن به ، ويقدم الشاعر به فى الاطلاق على غيره

واذا أردنا أن نضع للشعر هذا الميزان العام فلنلتمسه من ناحية هذه الأمور الثلاثة العامة فيه (موضوعاته وألفاظه ومعانيه) وموضوعاته هى أغراضه ، وألفاظه هى معانيه ، ومعانيه هى ألفاظه ، ولا يمتاز اللفظ عن المعنى الا فى مظهر وجوده فى اللسان ووجود المعنى فى الذهن ، فليس هناك فى الحقيقة الا شيئان يصح أن يلتمس هذا المقياس العام للشعر منهما (موضوعه ولفظه و معناه)

فهل الشعر يوزن بموضوعه أو يوزن بألفاظه ومعانيه أو يوزن بهما معا ؟ واذا كان يوزن بهما معا فما الذى ينظر اليه قبل غيره منهما ، ويكون التعويل فى ذلك عليه ويعد الثاني مكملا له ؟

ولا يمكن أن نصل الى شىء فى ذلك قبل أن نعرف ماهو الشعر ؟ وما هى وظيفته فى الحياة ؟ فهل الشعر ألفاظ ومعان وأخيلة لاطائل تحتها ؟ وهل هو عبث ولهو فى الحياة ؟ وهل هو كما يقول الناس من وحى الشياطين ؟ أو هو أمر آخر غير ذلك له وظيفة فى الحياة غير العبث واللهو ، وليس هو مجرد ألفاظ ومعان وأخيلة ، وإنما هو سبب من أسباب نهوض الأمم ، ووحى وإلهام من الله تعالى ، وليست الألفاظ والمعانى والأخيلة الا أثوابا يلبسها

ليظهر بها، ويؤدى فى الناس رسالته ووظيفته

فالأصمعى (١) وأضرابه ممن ينظر الي الأدب نظرة أعرابية يرون أن الشعر لا يقوى الا فى باب الشر فاذا دخل فى باب الخير لان، وانما طريق الشعر عندهم هو طريق شعر الفحول مثل امريء القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار وما الي ذلك فاذا دخل فى غيره مما دخل فيه بعد الاسلام ضعف ولان. وهم يرون أن شعر حسان بن ثابت كان بهذا السبب فى الجاهلية أقوى منه فى الاسلام، فكان فى الجاهلية قويا حينما كان يسلك به مسالك اولئك الفحول، ثم ضعف فى الاسلام حينما سلك به غير هذه المسالك من مراثى النبى صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم

وقد سار الناس على ذلك من يوم ان تكلموا بعد الاسلام فى علم الادب الي عصرنا الحاضر. يقدمون فى كل عصر من شعرائه من يسلك فى باب الشر مسلك اولئك الفحول، ويجعلون الحطيئة الشاعر الهجاء شاعر المخضرمين، ويجعلون الفرزدق وهو من الهجائين أيضا شاعر الاسلاميين، ويجعلون بشارا وهو ايضا من الهجائين شاعر المحدثين، فاصبح الشعر بذلك فى الاسلام آداة شر مثل ماكان فى الجاهلية، وضاعت جهود الاسلام فى اصلاحه وتقويم معوجه، حتى صار كثير من المسلمين لا يعرفون ان للاسلام فى شعر العرب من الاصلاح الادبي مالا يقل فى خطره عما جاء به فى ورهم الاخرى من الاصلاح الدينى

(١) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ص ٦٢ طبع المطبعة السلفية

فقدشب النبي صلى الله عليه وسلم والشعر العربى آخذ فى تلك الأبواب من الشر التي يقال أنه لا يقوى الا فيها، فكان من عناية الله به أن حفظه منه ؛ وحكى ذلك رسول الله بعد بعثته فقال (لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر) فلم يكن شعرهم فى فساده يقل عن أوثانهم فى فسادها فبغضا اليه معا ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم ونزل عليه القرآن وقال المعارضون فيه أنه شاعر يجيد سبك الكلام قال الله لهم (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وقال أيضا (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وهو فى ذلك لا يكتفى بنفى تهمة الشعر عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل يتخذها وسيلة لذم شعرهم وأوديته التى يهيم اصحابه فيها ، ويزعم الاصمعي وأضرابه أنها أبوابه التى تتجلى فيها قوته ، فيذكر الله انها أسباب فساده وضعفه ، ويذكرون أنها اسباب حسنه وقوته ، ثم يمدح الطرق التي يأخذ بها شعراء المسلمين ويستثنيهم ممن ذمهم من الشعراء (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلا ترضى الاصمعي وأضرابه تلك الطرق ، ويقولون أن الشعر لم يضعف الا بها

ولا شك ان الاصمعي إذ يذهب الى ذلك إنما يرى أن الشعر ألفاظ ومعان وأخيلة لا غير ، فاذا قويت فى باب الشر كان طريقها طريق أولئك الفحول من الشعراء ، وإذا ضعفت فى باب الخير ولا بد أن تضعف على زعمه فيه لم تكن من الشعر فى شيء

ولا شك أن القرآن الكريم إذ يذم تلك الطرق التى يتعصب لها الاصمعي إنما يري أن الشعر حكمة مصدرها الوحي والالهام من الله تعالى ،

ولا يراه لهواً وعبثاً يصدر عن وحى الشياطين (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم) وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمى شعر حسان بن ثابت وغيره من شعراء أصحابه حكمة ولا يسميه شعراً ، وقال أيضاً « إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة » فالشعراء فى الاسلام هم حكماء الامم وقادتها ، ورسل الخير والرشاد فيها ، وليسوا أولئك العابثين بالشعر فى اللهو ونحوه من الضروب التى يعبثون فيها بشعرهم

وهذا هو إصلاح الاسلام فى الشعر وميزانه عنده ، فهو يوزن فيه بموضوعه وأغراضه قبل أن يوزن بألفاظه ومعانيه وأخيلته ، ولا بد عنده من كل منهما فيه ولكن نبل الموضوع قبل فخامة اللفظ ، وشرف الغرض قبل جزالة المعنى ، فاذا لم يكن شريف الغرض كان عبثا لا شعراً ، وإذا لم يكن حسن اللفظ والمعنى كان نظما ولا يسمى شعراً أيضاً ، ولكنه لا يبلغ أن يكون عبثاً

فاذا كان الشعر فى أغراض شريفة فى ذاتها كالحكمة والموعظة الحسنة ووصف محاسن الطبيعة فى سمائها وأرضها وبحارها وأنهارها وجبالها وسهولها والترغيب فى الفضائل ومحاربة الرذائل ونشر عقائد الدين الصحيحة وبث روح النهوض فى الامم ومحاربة عوامل الضعف فيها وما إلى ذلك من الاغراض الشريفة فى ذاتها فذلك هو الشعر الحسن فى ذاته ، والذى تباهى به الامم بعضها بعضاً ، ويمكن أن ينقل من لغة إلى لغة فتشرف به اللغة التى نقل منها عند أهل اللغة التى نقل اليها

وإذا كان فى المدح وجب أن يتوخى فيه الصدق ، وأن يصان عن التكسب والاستجداء ، فلا يصف الممدوح إلا بما فيه ، ولا يمدحه إلا بما

يستحق به المدح فى شخصه ، فيكون مدحه تشجيعاً له على المضى فى سبيله ، وحملا لغيره على الاقتداء به ، بخلاف هذا المدح التجارى الذى يشترى بالمال ، ويجعل الظلم عدلا ، والقبيح حسناً ، وينشر فى الامم الرياء والملق ، ويهدم الفضائل والخصال الشريفة

وإذا كان فى الهجاء وجب أن يحارب به الرذيلة وأصحابها ، وأهل الباطل الذين يحاربون الامم فى نهوضها أو عقائدها الصحيحة التى تدين بها ، فاذا اتجر به كالمدح وأرهب به الشاعر الناس ليعطوه كان أثره فيهم أسوأ من أثر ذلك المدح التجارى ، وأزال من بينهم خلق الحياء ، ونشر بينهم السلاطة والبذاء

وإذا كان فى التشبيب وجب أن يكون عفيفاً يصف المحاسن فى اعتدال ولا يجاوز ذلك إلى ذكر أمور لا يرضاها الخلق ، ولا تبيحها العفة

وهكذا كل تلك الابواب التي يزعم الاصمعى أن الشعر لا يقوي إلا فيها إنما يحسن فيها الشعر إذا ابتعد به عن جانب الشر فيها ، ولم تتجاوز الحد المقبول منها

وبهذا حكم الله ورسوله وسار الخلفاء الراشدون على منواله ، فأخذ الادب العربى فى ذلك العهد الصالح ينهج مناهجه الصالحة ، ويستن سننه المستقيمة ، ويثمر فى ذلك ثمراً صالحاً وهو لم يجاوز بعد عهد طفولته ، والشعراء لم تتهيأ نفوسهم تماماً له ، ولم تتخلص من قيود ماضيها الجاهلي

ولكن الحظ السيء لهذه الامة أبى إلا أن يعاجلها فى ذلك العهد ، ويحرمها منه قبل أن يؤتى فيها أكله ، ويقضى على أدبها الاسلامى وهو لايزال فى مهده ، فيعود الادب فيها إلى نزعته الاولى أعرابياً جافاً كما كان

قبل الاسلام ، بدويا متعجرفاً لا أثر فيه لثقافة عالية أو حضارة راقية ، ثم يطغى هذا الادب الفاسد على الناس ويستهوى نفوسهم ويلعب بعقولهم فلا يعرفون غيره ، ولا يدرسون إلا آثاره ، ولا يقدمون إلا رجاله ، وتمضى تلك القرون على الشعر العربي فلا تجد فيه من الشعر العالمى الذى تتباهي الامم به وتتناقله بينها مثل مايوجد فى شعر الامم الاخرى من ذلك الشعر العالمى ، ولو أن ذلك الادب الاسلامى لم يوأد فى مهده لكان لنا الآن منه أدب عالمي كثير نفاخر به من يفاخرنا بأدبه العالمي ، ولم يكن لنا من دواوين الشعر ذلك العدد الذى تنوء الدنيا به ، فاذا أغرقته فى بحر من بحورها الواسعة لم تجدك خسرت شيئاً به ، أو ضاع منك ما تحزن على فقده

ألا إنه يجب أن يصلح درس الادب ، وأن يخلص من تلك النزعات الجاهلية ، وأن يوزن بنبله وشرفه وثقافته قبل أن يوزن بألفاظه ومعانيه وأعرابيته ، وأن يقدم فيه من قدمه الله ورسوله ، ويؤخر فيه من قدمه الاصمعى وأضرابه ، فهناك يستقيم للامة أدبها ، ويؤدى وظيفته الصالحة فيها

الشعر الحضرى والبدوى

ليس تعصب الأصمعى وإخوانه وهم جمهور علماء الأدب على الشعر الاسلامى إلا لتعصبهم للشعر البدوى على الشعر الحضرى ، وإيثارهم خشونة البداوة على رقة الحضارة ، وعنجهية البوادى على ثقافة المدن ، وعجرفة الأعراب على تهذيب أهل الحضر ، وقد ذهب هؤلاء العلماء فى هذا التعصب الى أبعد حدوده ، فتحفظوا من رواية الشعر الحضرى ، وأضاعوا علينا منه كل ما قاله شعراء اهل الحواضر فى دولتى المناذرة والغساسنة ، ولم

يرووا لنا مما قيل فى هاتين الدولتين من الشعر إلا الذى يمت فى أصله الى البادية ، ويكون رجاله من النازحين منها الى حضرهما مثل النابغة الذبيانى فى دولة المناذرة ، وحسان بن ثابت فى دولة الغساسنة ، كأن الشعر كان وقفاً فى هذا العصر على رجال البادية ، ولم يكن له فى حضر هاتين الدولتين عوامل أكثر من عوامله فيها ، والذى لايقبل العقل غيره انه كان هناك شعراء من اهل الحضر فى هاتين الدولتين ، وانه كان لهم شعر اكثر من شعر اهل البدو ، والتعصب الأعمى وحده هو الذى أضاعه علينا ، وحرمنا بذلك من فوائدأدبية وتاريخية جليلة ، ولو وصل الينا لتغير نظرنا الىشعر هذاالعصر ، ولم يكن مطبوعا عندنا بطابع الصحراء الذى نطبعه به

قال ابو نصر الفارابى فى اول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف : كانت قريش أجود العرب انتقاء للافصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما فى النفس ، والذين نقلت عنهم العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم (قيس وتميم واسد) فان هؤلاء هم الذين عنهم نقل اكثر ما اخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الاعراب والتصريف ، ثم (هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين) ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ عن لخم ولا عن جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا عن قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم اهل الشام ، واكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب والنمر فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من عبد القيس وأزدعمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند

والفرس ، ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولامن حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت السنتهم

فهذه القبائل العربية كلها أهمل أدبها وأهمل الاخذ عنها لاتصالها بأهل الحضر أو بتلك الامم التي عد اتصالها بها عيباً فيها،فلم ينقل شيء من أدبها فى عصر أولئك العلماء الذين عنوا بنقل اللغة ، وكذا فيما قبله من العصور،لان أكثر تلك القبائل العربية قديم الاتصال بتلك الامم ، فسقطت به عربيتها عند أولئك العلماء من عهد اتصالها بها

وقد كان على أولئك العلماء أن يعرفوا ان حاجتنا الى عربية هذه القبائل غير الخالصة لا تقل عن حاجتنا إلى عربية القبائل البدوية الخالصة ، وكم كانت حاجتنا شديدة إلي معرفة هذا الادب العربى الذى تاثر بتلك الامم المتحضرة وعد التعصب الاعمي هذا سيئة فيه ، وهو خليق بان كان يعد من حسناته ويحرص بسببه على روايته ، واذا كان للادب البدوى خلوص عربيته فللادب الحضرى تهذيبه وثقافته ، وقد تكون هذه الميزة عند بعض الناس أحق بالعناية والحرص عليها من تلك الميزة

ولكن أولئك العلماء ، لم يكونوا فى عصرهم يشعرون بحاجتنا نحن الآن الى ذلك ، وإنما كان يملك عليهم كل أمرهم شيء واحد هو حفظ اللغة العربية من الفساد الذى أخذ يتسرب اليها من اللغات الاخرى ، ولم يكن علاج ذلك عندهم إلا بتدوين العربية الخالصة التى لم يتسرب الى أهلها ذلك الفساد فى عصرهم أو قبل عصرهم ، فاخذوا ينتجعون البوادى من أجل ذلك ويقيمون فيها اكثر

أوقاتهم ويأخذون عن أهلها علومهم ، فتأثروا بهذه العوامل فى نظرهم الى الأدب العربي ،وأصبحوا الا يمكنهم بعد التأثر بالبيئة البدوية وعلومها إلا أن يتعصبوا للأدب البدوى على الأدب الحضري ، ولو لم يفعلوا ذلك لكانوا متناقضين مع أنفسهم ، لأن علمهم لم يقم إلا على اساس اتهام الأدب الحضرى وعدم الثقة به ، والوثوق بالأدب البدوى الذى لم يكن تسرب اليه لحسن حظه شيء من اللحن فى عصرهم ، ولو أن الزمن تأخر بهم إلى الوقت الذى تسرب اليه اللحن فيه أيضاً لكانوا على الاقل أخف فى تعصبهم للادب البدوى على الادب الحضرى.ونحن الآن نرى أنه كان يمكن تدوين العربية الخالصة وأدبها وحدهما ، وتدوين عربية ذلك الحضر وتلك القبائل المجاورة لتلك الامم وأدبها وحدهما ، فكنا نجمع إلى حفظ العربية الخالصة حفظ تلك العربية المتأثرة بتلك الامم ، فربما كان فى ادبها خير كثير حرمنا الآن منه ، وربما كان ذلك الادب لا يقل حاله عن الادب العربى فى العصر العباسى حينما تاثر بمثل ما تاثر هو به ، وتوجد نصوص قليلة عميت عنها عين ذلك التعصب تدل على ان ادب الحضر فى ذلك العهد كان ارقى من ادب البدو ، وانه تاثر فيه بمثل تلك الامور التى تاثر بها الادب العباسى ، قال محمد بن سلام : لم يقو احد من الطبقة الاولى ولا من اشباههم إلا النابغة فى بيتين قوله :

امن آل مية رائح او مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود

وقوله :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنـــانه   عنم يكاد من اللطافة يعقـــد

فقدم يثرب فعيب ذلك عليه فلم يابه له حتى اسمعوه إياه فى غناء ، واهل القرى الطف نظرا من اهل البدو وكانوا يكتبون لجوارهم اهل الكتاب، فقالوا للجارية اذا صرت الى القافية فرتلى ، فلما قالت (الغراب الاسود) و (يعقد) و (باليد) علم فانتبه فلم يعد فيه ، وقال (قدمت يثرب وفى شعري ضعة ورحلت عنها وانا اشعر الناس)

وقد خلص الينا من بين براثن ذلك التعصيب آثار قليلة من ذلك الادب الحضرى منظورا إليها منـــه بعين البغض ، وقد آن لها أن تأخذ حقها من الانصاف فى عصرنا الحاضر الذى أصبح لا يرضيه ذلك الادب البدوى ، ولكنه ياخذ بما يأخذه عليه كل الادب العربى ، وينسى ذلك الادب الذى حرمنا منه بتعصب أولئك العلماء عليه ، والذى أراد الاسلام أن يأخذ الأدباء به فأبوا إلا أن يأخذوا بالأدب البدوى ؛ ويجعلوا رجاله قدوتهم وأئمتهم :

ولا نريد من هذا إلا أن الادب الحضرى فى جملته كان خيرا من الادب البدوى فى جملتــه . وقد يوجد من أدباء البـدو من كان خيرا من بعض أدباء الحضر ، ومن أدباء الحضر من كان فى أدبه أقل من بعض أدباء البدو ، وهذا لا يخص الفاظ الشعر وحدها وما اليها من معانيه وأخيلته بل يكون فى موضوع الشعر أيضا وأغراضه ، وللحضر شره وفساده كما للبدو شره وفساده

ولا نريد أيضا أن ننصر من ذلك الادب ما كان ينحط بين تلك القبائل فى أطراف الجزيرة وتاثرها بتلك الامم إلى درجة العامية ، بل نريد من ذلك الادب ما حافظ مع تاثره بهذا على صبغته العربية كما حافظ الادب العباسى

فى تاثره بمثل ذلك على تلك الصبغة أيضا ، وهذا كأدب أمية بن أبى الصلت وغيره من أدباء ذلك العهد ، ممن جمعوا الى ثقافتهم العربية ثقافات أخرى غير عربية ياخذها أولئك المتعصبون عليهم ، ويؤخرونهم بها عن غيرهم

امرؤ القيس

هو حندج بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، وهم ملوك كندة المعروفون ، ويلقب امرأ القيس والملك الضليل وذا القروح (١) ويكنى أبا وهب أو أبا الحارث أو أبا زيد

وأمه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير التغلبية ، وهى أخت كليب ومهلهل ابنى ربيعة التغلبيين

ولم يتفق النسابون كلهم فى هـذا النسب ، وبعضهم يقول ان اسمه امرؤ القيس لاحندج ، وبعضهم يقول إن اسمه قيس فقط ، وقال بعضهم إن اسم أبيه عمر ولا حجر ، وقال بعضهم ان اسم امه تملك لا فاطمة ، وقال بعضهم إنه لم يكن له ولد ذكر يكنى به ، وقال بعضهم إنه كان يئد بناته فلم يكن له اولاد ذكور ولا إناث ، وقال بعضهم إنه كان له بنت يقال لها هند ، وقيل إنها كانت أخته لا بنته

وقد أراد بعض أدباء عصرنا أن يستغل هـذا الخلاف فى انكار وجود هذا الشاعر ليجعل قصته اسطورة خيالية لا سيرة حقيقية لشخص حقيقى ، فهى عنده موضوعة فى حوادثها ، موضوعة فى شعرها ، موضوعة فى كل شىء فيها ، ولا تمثل شيئا كان له حقيقة . ولا شك أن هذا الخلاف لا يصح أن

(١) لقب بذلك من اجل علة القروح التى مات بها

يستغل فى ذلك ، وأنه لو كان امرؤ القيس أسطورة من الاساطير لـكان أمره عند علماء النسب أهون من أن يختلفوا هذا الخلاف الـكثير فى أمره ، فهو أجدر بالدلالة على شخص حقيقي منه بالدلالة على شخص خيالى ، وكم من رجال حقيقيين فى العرب وغيرهم وقع فى نسبهم من الخلاف مالا يذكر بجانبه هذا الخلاف فى نسب امرىء القيس . ومن هؤلاء الرجال أبو هريرة من اصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم فقد اختلفوا فى اسمه فى الجاهليـة والاسلام وفى اسم أبيه خلافات كثيرة حتى ذكروا له نحوا من عشرين اسما ولأبيه نحو خمسة عشر اسما ، وابو هريرة شخص حقيقى لا ينازع احـد فى وجوده ، ومن هؤلاء الرجال هوميروس الشاعر اليونانى صاحب الالياذة المعروفة ، فقد اتفقوا على ان (هوميروس) لقبه لا اسمه واختلفوا فى معناه وسبب تلقيبه به ، فقيل انه بمعنى الرهينة ، وكان قد اسر فى حرب فلقب به وقيل إنه بمعنى المتكلم فى المجلس اي الخطيب والمشير الى غير هذا مما قيل فى معناه ، ثم اختلفوا فى اسمه فقيل انه كان يسمى ميونيذس اي ابن ميون ملك ليديا ، وكان تزوج امه (كريثيس) وهو طفل علي يدها فدعاه باسمه ، وهو يعتقد ان اباه من الجن ، وقيل إن اباه كان يسمى داماسوغوراس ووالدته اثرا ولدته فى مصر وربته بنت كاهنها (اوروس) وذكر هيرودوتس ان اسم هوميروس ميليسجينيس اي ابن النهرميليس ، وان امه ولدته فى ازمير ، وقد رجحوا رواية هيرودوتس على غيرها وان كانت لاتخلو من بعض مآخذ فيها ، وكان ارسطو الفيلسوف شديد الاعجاب بهوميروس وقد نسبه الى آلهتهم ، فذكر ان طائفة من قرصان ازمير سطت على فتاة من جزيرة يوس وهي حبلى من احـد الآلهة ، فاحتملوها الي بلدتهم ، فولدت لهم هذا الشاعر ، وهـذا

قليل من كثير من خلافاتهم فى شان هوميروس ولم يصل الخلاف فى امرىء القيس الى هذ الحد من خلافاتهم فيه ، ويظهر ان هـذه الخلافات من حظ كل شخص اشتهر بلقبه او كنيته دون اسمه ، فاذا تقادم عليـه العهد ذهب الناس فى البحث عن اسمه تلك المذاهب ؛ ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم

وكان لآباء امرىء القيس من كندة ملك فى نجد على قبائل معد بن عدنان، ولا بد قبل الـكلام فى تاريخ حياته ودرس شعره من درس بيئته المكانية والقومية وما كان يحيط به فيها من العوامل التى كان لها اثرها فى حياته وشعره ، لان الشاعر يتاثر بذلك فى سيرته اكثر مما يتاثر بدخيلة نفسه ؛ وكثير من الناس تخفى علينا دخائله ؛ ويعيش فى هـذه الحياة فى مظهر يلائم بيئته اكثر مما يلائم باطن امره ؛ وان كان اثر ذلك قد يظهر احيانا عليه :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

نجد

تقع نجد فى قلب بلاد العرب بين الحجاز واليمامة . ويرتفع سطحها بين ٥٠٠٠ قدم فى الغرب و ٢٥٠٠ فى الشرق ، وأكثر أرضها سهل رملى فى بعض الجهات بركانى فى بعض آخر منها ؛ ويوجد فيها جبال كثيرة منها جبلا أجا وسلمى وهما جبلا طيء ، ولا تخلو مع ذلك من أودية كثيرة تجرى فيها مياه الامطار فى بعض فصول السنة ؛ وأعظمها وادى الرمة وهو يسيل من حرة خيبر ويتجه إلى الشمال الشرقى متوسطا القصيم ، مارا بين أبانين ، مخترقا نجدا كلها حتى يقرب من مدينة البصرة ؛ وهو يضيق فى بعض الجهات ويتسع فى بعضها حتى يبلغ فيها مسيرة يوم ؛ وتصب فيه أودية كثيرة فى أكثر الجهات التى يمر بها . ولكن ذلك كله لا يكفى لأن يجعل منه نهرا دائم الجريان

لقلة أمطار تلك البلاد ، واتساعه الى ذلك الحد فى بعض الجهات ، فلا يجري ماؤه الا قليلا ، وتذهب مياهه فى باطن الارض ، ثم تفيض فى الرمل وتنبجس عيونا فى جهات كثيرة تقصدها القبائل ، وتنشىء حولها القرى والمزارع

وقد أثر موقع نجد فى تلك البقعة من بلاد العرب فى طيب ارضها ، فكانت أطيب بلاد العرب فى مناخها وهوائها وطبيعة أرضها ، وكانت فيها معادن الفصاحة العربية الخالصة ، والشعر العربي البدوى الذى لم يشب بشىء من العجمة ، وقد سارع الفساد الى لغة العرب بعد ظهور الاسلام واختلاط العرب بالعجم ، فلم تثبت العربية الفصحى فى بلد من بلاد العرب أمام ذلك الفساد ما ثبتت بين نجد وأهلها ، وخصوصا جبل عكاد الذى ثبتت العربية بين أهله إلى آخر القرن الرابع الهجرى

وكان يوجد بنجد من القبائل العربية طيء فى شمال نجد بجبليها أجا وسلمى ، وبكر وتغلب بعالية نجد ، وعنزة وأسد فى شمالى وادى الرمة ، وهوازن وسليم غربي نجد ، وغطفان وعبس وذبيان شماليها ، وتميم شرقيها ، الى غير ذلك من قبائلها

ويذكر أكثر هذه القبائل فى القبائل العربية التي تعد أفصح قبائل العرب وقد ذكر علماء اللغة أن أفصح القبائل ممن أخذت اللغة عنهم قيس وتميم وأسد والعجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن ويقول فيهم أبو زيد : أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة ، يعني عجز هوازن وهم خمس قبائل أو اربع : سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وأما أهل العالية فهم أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ومن دنا منها ، ولم يكونوا فى الفصاحة مثل أهل السافلة

وكما يذكر أكثر قبائل نجد فى أفصح قبائل العرب يذكر كثير منها

فى قبائل العرب الخالص الذين كانت بلادهم من أعظم مواطن العربية الخالصة ومن تلك القبائل قبائل كانت تسمى الارحاء لأنها كانت تحرز دورا ومياها لا تنزح عنها بل كانت تدور فيها كالارحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضهم فى البرحاء والجدب ، ولم يكن يحصل هذا لهم إلا فى نادر أوقاتهم ، ومن قبائل الأرحاء تميم بن مرة وأسد بن خزيمة وكلب بن وبرة وطيء بن أدد

ومن تلك القبائل أيضا قبائل تسمى الجمرات من التجمير وهو التجميع لاجتماعهم على ألا يخرجوا منهم أحدا الى غيرهم ، ولا يدخلوا من غيرهم أحدا فيهم ، وهم أربع قبائل : بنو تميم بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب وبنو ضبة وبنو عبس بن بغيض

كندة وتغلب

(١) كندة : كان لكندة دولة بنجد ملوكها آباء امرىء القيس ، وقد اتفق النسابون على أن كندة من عرب الجنوب القحطانيين تنسب إلى أبيها كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقد اختلفوا بعد ذلك فى سبب هجرتها من الجنوب إلى نجد بالشمال مسكن العرب العدنانيين ، فالأكثرون منهم على أن هذه القبيلة كانت تقيم فى الجنوب بالبحرين فى حصن المشقر ، ثم أجليت منه الى حضرموت فى زمن لا يمكن تعيينه وعددهم فيما يقال نحو ثلاثين ألفا فأقامت بحضرموت فى بلد عرف باسمها (كندة) ثم نزحت إلى مهرة وكانت قصبتها تسمى دمون ، فأقامت هناك مدة من الزمن ، وكانت تلك البلاد فى حكم إخوانها الحميريين ، فاستخدموا رؤساءها وكبارها فى بعض أمورهم ، وصار يدخلونهم فى حاشيتهم ، الى أن

كان عهد حسان بن تبع الحميرى ، فارتفع شأن الكنديين فى دولته ، وكان سيدهم حجر بن عمرو أخاه لأمه ، وقد شاركه فى كل حروبه وفتوحه فى بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها ، فكافأه حسان على ذلك بأن ولاه قبائل معد العدنانية كلها ، وهى قبائل بدوية متفرقة فى البوادي الشمالية ، فقدم حجر إلى نجد ونزل ببطن عاقل ، وكانت قصبة دولته ، وكان هو أول ملوك كندة

وذكر اليعقوبي أن كندة نزحت من حضرموت إلى أرض معد بعد حرب كادت تفنيها ، فجاورت عرب معد وملكوا عليهم رجلا منهم اسمه مرتع بن معاوية بن ثور وهو أول ملوكهم ، وبينه وبين حجر بن عمرو أربعة ملوك حكموا قبل حجر ، وعلى ماذكره اليعقوبي تكون إقامة الكنديين بين عرب الشمال أقدم مما ذكره غيره فى الرأى الأول

ولما مات حجر بن عمرو خلفه ابنه عمرو بن حجر ويسمونه المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ، ثم مات عمرو فقام من بعده الحارث ابنه وفى عهده استولت الحبشة على اليمن وأذهبت دولة حمير ، فزالت سيادتها عن كندة واستقل الحارث بدولة آبائه ، وأخذ ينافس دولة المناذرة بالعراق فى تقربهم من العجم . وكان ملك المناذرة على عهده المنذر بن ماء السماء ، وملك العجم قباذ أبو كسرى أنو شروان ، وقد ظهر مذهب مزدك فى بلاد العجم على عهد قباذ ، وهو مذهب اشتراكى إباحى يرمى الى اشتراك الناس فى الاموال وغيرها ، فانتصر قباذ له ونشره فى دولته ، وأراد أن ياخذ به المنذر بن ماء السماء فابى أن ياخذ به ، فعزله عن الحيرة وولى عليها الحارث ابن عمرو حينما وافقه على المزدكية ونشرها فى كندة ، فعظم بذلك ملك الحارث ، وأتته قبائل معد تهنئه بالحيرة وتطلب منه أن يملك أبناءه عليها ، ففرق فيهم بنيه الأربعة :

(١) حجرا على بنى أسد وغطفان

(٢) شرحبيل على قبائل بكر

(٣) معديكرب على قبائل قيس عيلان

(٤) سلمة على تغلب والنمر

ولم يطل الأمد على المزدكية ببلاد العجم، فان قباذلم يلبث أن مات فتولى ابنه أنوشروان وناهض المزدكية حتى أبطلها ، وأعاد المنذربن ماء السماء إلي الحيرة، فهرب منها الحارث بما له وأولاده حتى نزل ببنى كلب، ومازال المنذربه وبأولاده ملوك القبائل يحاربهم ، ويغرى قبائلهم عليهم . ويوقع بينهم حتى أضعف دولتهم

وكان حجربن الحارث ملك بنى أسد أعظم أولاد الحارث شأناً ، وكان له عليهم إتاوة يؤدونها له كل سنة ، فلما فعل المنذر ذلك بدولتهم تغير عليه بنو أسد ، وامتنعوا من أداء إتاوته لرسله وطردوهم إليه ، فسار إليهم بجيش من ربيعة واعانه أخوه معد يكرب بجند من قيس ، فأتاهم فأخذ سراتهم وجعل يقتلهم بالعصا حتى سموا عبيد العصا ، ثم صيرهم إلى تهامة وكان يقيم بها وآلى ألا يساكنوه فى بلد أبداً ، فسيرهم ثلاثا حتى استشفع فيهم إليه شاعرهم عبيد بن الأبرص بقصيدة يقول فيها :

ياعـــين فابكى ما بنى	أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والنـ	ـعم المؤبل والمدامه
وذوي الجياد الجردوالـ	أسل المثقفة المقامه
إما تركت تركت عفـ	ـوا أوقتلت فلا ملامه
أنت المليك عليهم	وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم حجر وعفا عنهم وأعادهم إلي بلادهم ، ثم عادوا إلى العصيان عليه

حتى قتلوه وقد ترك عددا من الأولاد أكبرهم نافع ، وأصغرهم شاعرنا أمرؤ القيس

فهذه دولة كندة من نشأتها إلى أن تصل إلى امرىء القيس شاعرها ، وهى على ذلك من أصل قحطانى باتفاق علماء النسب ، وكانت دولة بدوية لم يكن فيها من آثار الحضارة مثل دولتى المناذرة والغساسنة ، ولم تطل مدتها حتى تذهب عنها آثار البداوة ، وكانت فى الدين على وثنية الحميريين ، ثم تركتها إلى المزدكية لتنافس بها دولة المناذرة وتملك بها الحيرة . ولابد أنها عادت الى وثنيتها بعد أن خرجت من الحيرة ورجعت إلى مقرها بين وثنية البادية ، وقد يكون للمزدكية أثر بعد ذلك بينها . وهذه هى الأمور التى تهمنا من درس بيئة امرىء القيس من ناحية أبيه وقومه ، وليس فيها كلها شىء عندى إلا نسب كندة قوم امرىء القيس إلى قحطان دون عدنان ، فقد يثير الشك فى ذلك قول امرىء القيس يتوعد قتلة أبيه :

يالهف هند إذ خطئن كاهلا تالله لا يذهب شيخى باطلا
حتى أبيـــد مالـكا وكاهلا القاتلين الملك الحلاحلا
خير معد حسبا ونائلا وخيرهم قد علموا شمائلا

فالظاهر أن قوله (خير معد) يرجع إلى شيخه وهو أبوه كما يرجع اليه الوصف قبله . ولا يصح ذلك إلا إذا كان من عدنان دون قحطان ، وشراح شعره يقولون إن ذلك وصف لعامر وكاهل قاتلى أبيه ، يريد أنه لا يقتل بأبيه إلا أشراف معد منهم ، فيحملونه فى ذلك وصف أعدائه بأنهم خير معد . وهذا شىء تأباه النفس فى أعدائها، لاسيما أن بنى أسد لم يكونوا خير معد ، ولا يصل شأنها فى معد إلى هذا الحد ، ولو كان يريد ذلك لساق شعره هذا المساق :

حتى أبيد مالكا وكاهلا   خير معد حسبا ونائلا

ليكون هذا الوصف خالصاً لهم، ولم يات به على هذا الشكل الذى لا ينكر أحد أنه ظاهر فى أبيه دونهم، وقد كان امرؤ القيس يستنجد فى ثأر أبيه بقبائل العرب العدنانية والقحطانية، ولم يكن يريد أن يجعلها حربا بين القحطانيين والعدنانيين، وكان أول من أجابه وساعده فى ذلك أخواله من بكر وتغلب وكانوا من العدنانيين

ومما يؤيد ذلك قوله أيضاً يفتخر :

وأنا الذى عرفت معد فضله   ونشدت عن حجر بن أم قطام

فيذكر معداً فى فخره دون قحطان، ولو كان من قحطان لذكرها فى فخره دون معد، ويقول شراح شعره إنه يريد أن معدا وهم بعيدون عن نسبه أقروا بفضله، فقحطان قومه أجدر منهم بأن يقروا به، وهو تكلف لم يحملهم عليه إلا ماذكره علماء الأنساب من ان كندة من قحطان، وليس كل مايذكره علماء الأنساب يجب أن يؤخذ قضية مسلمة، وقد دخل أنساب القبائل تخليط كثير، حتى ذكر ابن خلدون فى مقدمته أن بعضاً من أهل الأنساب قد يسقط الى أهل نسب آخر بقرابة اليهم أوحلف أوولاء فينتمي الى نسبهم وينسى نسبه الأول بطول الزمن ويذهب أهل العلم به فيخفى على أكثرهم وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم بآخرين فى الجاهلية والاسلام والعرب والعجم، فليس من البعيد أن يكون هذا شأن كندة مع حمير حين اتصلت بها، فظن الناس أن نسبها يتصل بقحطان مثلها، ثم طال على ذلك الزمن حتى أخذه علماء الأنساب قضية مسلمة

(٢) تغلب : كانت فاطمة أم امرىء القيس من هذه القبيلة، وقد تأثر بها فى شخص امه وأخواله . وهى احدى قبائل ربيعة العدنانية، وكان بينها وبين

اليمن عداء شديد ، وحروب استمرت بينهما بسبب ما كانت تلاقيه من ظلم ولاة حمير عليها ، وقد انتهت تلك الحروب بفوزها فى يوم خزاز على قبائل اليمن ، وكان كليب خال امرىء القيس قائدها فيه ، وكانت الحبشة قد استولت على اليمن فأمكن قبائل ربيعة أن تتغلب على ولاتها ، وتفوز على قبائلها لذهاب مددها من دولة حمير ، ولا يخفى أن دولة كندة كانت ظاهرة فى ذلك الوقت ، فيمكنك أن تأخذ من عدم تعرضها لقبائل ربيعة فى حروبها مع أهل اليمن وتزوج ملكها حجر بفاطمة بنت ربيعة زعيمها فى تلك الحروب دليلا آخر غير ماتقدم على أنها غير يمنية الأصل ، وفى قوة هذا الدليل أيضاً عدم تعرضها للحبشة فى حربها مع دولة حمير ، وأنها ما كادت تتخلص منها حتى نسيتها كأن لم تكن تابعة لها ، ثم أخذت تنشىء لها علاقات أخرى مع دول غيرها

وكان مهلهل خال امرىء القيس شاعرا فارساً واسمه عدى ، وانما لقب بالمهلهل لأنه فيما يقال أول من هلهل الشعر أى رققه وأطاله ، وكان قبله مقطعات صغيرة ، وكان يعيش فى حياة أخيه كليب عيشة مجون ولهو ، يجتمع فيها بالنساء ويختلط بهن ، حتى لقب زير نساء أيضاً لقبه بذلك أخوه كليب ، وكانا يعيشان معا بعالية نجد بين قومهما من تغلب وبكر ، ويجاوران فيها دولة كندة ، فلما وقعت حرب البسوس بين القبيلتين وتفرق أمرهما ادخلتهما هذه الدولة فى ملكها ، وملك الحارث بن عمرو ابنه شرحبيل على بكر ، وملك ابنه سلمة على تغلب ، فاتصل امر هذه القبائل بعضها ببعض ، وجمعت بينها تلك الدولة فى تلك البقعة من بادية نجد ، ونشأ فيما بين ذلك كله شاعرنا امرؤ القيس

حياة امرىء القيس

(١) في شبابه : نشأ امرؤ القيس في ظل ملك بدوى لا يعنى بثقافة ولا تعليم وانما كل مافيه من ذلك الشعر الذى انصرفوا اليه عن كل شيء سواه ، واستعانوا به في حياتهم اللاهية ، حتى استعملوه في لهوهم اكثر مما استعملوه في جدهم ، فشببوا به في النساء ، وتغنوا به في الخمر ، وترنموا به في مدح وبكوا الديار ، ووقفوا على الدمن والاطلال ، ولم يجاوزوا ذلك ونحوه الى جد الحياة الا قليلا لا يذكر معه ، وكان ابوه ذلك الملك الجبار الذى لم يعن بامور رعيته واصلاح شؤونها ، مثل عنايته بجباية اموالها ليصرفها في شهواته وملذاته ، وكانت امه فاطمة اخت كليب ومهلهل ابنى ربيعة ، ولم يكن كليب في عتوه باقل من حجر والد امرىء القيس ، وقد بلغ من عتوه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى احد حماه ، حتى ضرب بعزته المثل فقيل (اعز من كليب) وقد قضى مهلهل شبابه في الشعر والمجون واللهو ، ولم يعن بشيء من امر اخيه كليب حينما القت قبائل بكر مقاليد أمورها اليه بعد انفصالها عن اليمن ، فكان كليب لا يعجبه ذلك منه ويلقبه زير نساء من اجله ، فلما قتل كليب صحا مهلهل من سكره ؛ واخذ يطالب بثاره ، ويشتط في ذلك اشتطاط من لم يعن بالحياة ، وقضى اوقاته في اللهو مثله ، وقد استمرت حرب البسوس بين بكر وتغلب من اجل كليب نحوا من اربعين سنة

فكل شيء كان يحيط بامرىء القيس في تلك البيئة كان يغريه بحياة اللهو والشعر ، وبان ينصرف عن امر ابيه انصراف خاله مهلهل عن امر اخيه ، وقد كان اصغر اولاد ابيه حجر فلم يطمع في ملكه واختار عليه جانب اللهو فيه ، وكان الشعر من اعظم اسباب اللهو في تلك البوادى الغافلة عن جد

الحياة ، فطالبه امرؤ القيس من أجله حتى إذا اجتمع بالنساء أنطقه بذكر محاسنهن وتفنن فى وصف جمالهن ، وإذا جلس الى الخمر أنطقه بذكرها ووصف مجالسها ، وإذا ذهب الى الصيد أنطقه بوصف الخيل التى يصيد عليها والآلات التي يصيد بها . وهذا الي استعداده الوارثي للشعر من جهة أمه وأخيها مهلهل ، ومن جهة أبيه ايضا إذ كان جده الاعلى حجر آكل المرار يقول الشعر ، وكذلك عماه سلمة بن الحارث ومعد يكرب بن الحارث

وقد اختار أمرؤ القيس شاعرين وجد عندهما من الشعر طلبته فأخذه عليهما ، فأما أحدهما فخاله مهلهل الذى تشبه حياته حياته ، وهو الذى علمه القريض فيما يقولون » وجعله يذهب فى شعره وسيرته مذهبه ، ولكن شعر امرىء القيس ليس فى سهولة شعر خاله ولا يبلغ فى اللين درجة لينه ، وهذا ناشىء من أنه لم يتأثر به فى الشعر وحده ، وأما ثانيهما فأبو داود الايادى ، وقد ذكر ابن رشيق أن امرأ القيس كان يتكىء عليه ويروى شعره حتى عده بعضهم رواية له ، وكان أبو داود وصافا للخيل وأكثر شعره فى أوصافها ، وكثير من شعر امرىء القيس فيها متأثر بما جاء فيها من شعره ، وقد يكون امرؤ القيس تأثر بغيرهما ممن أدركه من شعراء عصره ، ولكن هذين الشاعرين هما اللذان أدباه وعلماه ، وظهر فى شعره أثرهما أكثر من غيرهما ، وكان يعاصره من الشعراء عبيد بن الأبرص شاعر بنى أسد ، وكان من ندماء ملكهم حجر والد امرىء القيس . وكذلك التوأم اليشكرى وعلقمة الفحل وعمرو بن قميئة وغيرهم من شعراء عصره ، وكان أكثرهم أثرا فيه بعد ذينك الشاعرين عبيد بن الابرص لتلك الصلة التى كانت تربطهما . ولهذا يتوافق شعرهما فى معان واساليب كثيرة

فلما أدرك امرؤ القيس من الشعر بغيته انصرف به إلى اللهو ، ومعاقرة

الخمر ، ومغازلة النساء ، ومطاردة الصيد ، وما إلى ذلك من أساليب الحياة اللاهية ، وآثر أن يبعد عن أبيه وملكه ليلهو لهوا طليقا لا يعترضه أحد فيه، فاجتمع اليه أرباب اللهو من العرب وبعض صعاليكهم وذؤبانهم وشذاذهم ، وصاروا يغيرون على القبائل وينزلون المياه ويذبحون مما يصيدون أو يسلبون ، ويشربون الخمور ويغازلون النساء ، ويطربون بالشعر والغناء . وكان بين هؤلاء الصعاليك شعراء يقولون الشعر معه فينسب كثير منه له لاشتهاره من بينهم ، وذيوع اسمه دونهم ، ولكن نقدة الشعر يعرفون كثيرا من شعرهم الذى ينسب له ، ويتفق مع سوقيتهم دونه . وان كان لابد أنه تأثر بهم ، وذهب من نفسه كثير من آثار بيئته قبلهم

وقد ذكر ابن الكلبي أن أباه هو الذى أقصاه عنه ، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قول الشعر وكانت الملوك تأنف منه . وذكر ابن رشيق أنه طرده لخلاعته ولهوه واشتغاله بمغازلة النساء ومعاقرة الخمر عما يلزم للملك ويليق به وهو ابن ملك ، ولم يطرده لقول الشعر لأن العظماء لم تكن تانف منه فى ذلك العهد . وكان سلمة ومعديكرب عما امرىء القيس وخاله مهلهل يقولون الشعر ، ويقال إن أباه لم يطرده إلا حينما اجترأ عليه وشبب بهر احدى نسائه أو جواريه ، وبعنيزة بنت أخيه شرحبيل ، وقيل إنهما كانتا امرأتين من كلب شبب بهما بعد طرد أبيه له ونزوله بقومهما . وقد ذكروا أن اباه أراد قتله قبل طرده فدفعه إلى مولى له ليقتله و يأتيه بعينيه فانطلق به ثم خاف إن قتله ان تعاود أباه الشفقة عليه فيقتله به فاطلقه وأخذ جؤذرا فاقتلع عينيه وأتى بهما أباه ، فحين رآهما ندم على ما كان منه ، فقال الغلام : أبيت اللعن إنى لم أقتله ثم أتى به اليه فنهاه عن الشعر فمكث زمنا لا يقوله وأبوه راض عنه ، ثم عاد اليه وقال قصيدته (ألا عم صباحا ايها الطلل البالي)

فغضب عليه وطرده ، وهذه حكاية تشبه أن تكون أسطورة خيالية لا قصة حقيقية.

والذى نرجحه فى هذا الاضطراب أن امرأ القيس لم يكن منصرفا كل الانصراف إلي اللهو قبل طرد أبيه له ، ولم يكن يخلو من عناية بما يليق بابن ملك مثله ، بل كان يعنى بذلك ويذكره فى هذه القصيدة التى طرد بعدها :

فلو أنما اسعى لأدنى معيشة كفانى ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعي لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آلى

ويظهر ان اباه كان يؤثر إخوته عليه لانهم كانوا اكبر منه . فابتعد امرؤ القيس عنهم ، وتسلى بلهوه عن امرهم ، فلما قتل ابوه وبلغه قتله قال (ضيعني صغيرا وحملنى دمه كبيرا) وهذا صريح فى ان بعده عنه كان بسبب تضييعه له ، ولم يكن فيما يقال لخلاعته ، لأنه مهما يكون هو الذى ضيع نفسه

(٢) بعد قتل ابيه : قضى امرؤ القيس شبابه ينتقل من روضه الي روضة ، ويرحل من بلدة الى بلدة ، يطلب اسباب اللهو ، ويقضى اوقاته فى اللعب ، حتى انتهى امره الى دمون التى يقول فيها :

كأنى لم ألهو بدمون مرة ولم اشهد الغارات يوما بعندل

فأتاه فيها خبر قتل ابيه ، وكان قد اوصى بمتاعه وسلاحه لمن لا يجزع عليه من بنيه ، فكلهم جزع وبكى إلا امرأ القيس (١) فانه اخبر بقتله وهو مع نديم له يلاعبه النرد فامسك نديمه عن اللعب ، فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب ، حتى إذا فرغ قال له ما كنت لافسد عليك دستك ، ثم آلى على نفسه الا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بطيب ولا يلهو بلهو ولا

---

(١) هذه هي الرواية المشهورة ويستفاد من رواية اخرى فى كتاب لم يطبع بعد انه كان مع ابيه فى حروبه مع بنى اسد وقد يكون ذلك هو الاقرب.

يصيب امراة ولايغسل راسه من الجنابة حتى يدرك ثأر ابيه ، وبات ليلته ارقا يتوعد بشعره مرة قتلة ابيه ، ويشكو مرة طول ليله :

تطاول الليل علينا دمون　　دمون إنا معشر يمانون

وإننا لاهلها محبون

ثم أخذ يجمع جموعه للاخذ بثأر أبيه واسترداد ملكه ، فبلغ بني أسد مايجمعه لهم ، فأرسلوا اليه وفدا من رجالاتهم فيهم عبيد بن الابرص وقبيصة ابن نعيم ، فلما وصلوا اليه احتجب عنهم ثلاثا ، ثم خرج اليهم فى قباء وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا فى الترات ، فبدر اليه [illegible]

إنك فى المحل والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ، بحيث لاتحتاج إلى تبصرة واعظ ، ولا تذكرة مجرب . ولك من سؤدد منصبك ، وشرف اعرافك ، وكرم أصلك ، محتد يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة ، ورجوع عن الهفوة . وقد كان ما كان من الخطب الجليل الذى عمت رزيته نزارا واليمن ، ولم تخصص بذلك كندة دوننا للشرف البارع الذى كان لحجر ، ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ، ولفديناه بمثله ، ولكن مضى به سبيل لا ترجع أخراه على اولاه ، ولا يلحق أقصاه أدناه . فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا ، فقدناه اليك بنسعه يذهب مع شفرات حسامك بباقى قصرته ، أو فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها فهي الوف تجاوز الحسبة ، وإما أن توادعنا حتي تضع الحوامل ، فنسدل الازر ، ونعقد الخمر فوق الرايات

فبكى امرؤ القيس ثم قال : لقد علمت العرب أن لا كفؤ لحجر في دم ، وإني لن أعتاض به جملا أو ناقة ، فأكتسب بذلك سبة الابد ، وفت العضد ، وأما النظرة فقد أوجبتها الاجنة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطر.

ثم صار يتنقل بين القبائل يستنجدهم على بنى أسد، حتى نزل على أخواله (بكر وتغلب) فأمدوه بجيش منهم ، فسار به الى بنى أسد فهربوا منه ، فما زال يتبعهم حتى لحقهم وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد حامون على الماء ، فنهد اليهم فقاتلهم وقاتلوه ، وكثرت القتلى والجرحى فيهم وفيه ، ثم حجز الليل بينهم فهربوا منه ، فأراد أن يتبعهم فأبى ذلك من معه من بكر وتغلب ، وقالوا لقد أصبت ثأرك وانصرفوا عنه ، فمضى حتى نزل على مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى فأمده بخمسمائة رجل من حمير ، وتبعه شذاذ من العرب. واستأجر من العرب رجالا أيضاً ، فسار بهم إلى بنى أسد فقاتلهم وظفر بهم ، ثم تتابعت الحروب بينه وبينهم.

فلما رأى ذلك المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة تحرك لقتاله وكان يكره ملوك كندة لمنافستهم له ، وأمده كسرى أنوشروان بجيش من الاساورة ، فساروا فى طلبه حتى فرقوا من معه من حمير وغيرها ، فعلم أن العرب لا تساعده على قتال الفرس والمناذرة ، ووجه نظره الى أعدائهم السياسيين من الروم والغساسنة ، فسار حتى نزل على السموءل بتيماء ، وطلب منه أن يكتب له الى الحارث بن أبى شمر الغسانى ليوصله الى قيصر الروم بالقسطنطينية ، فكتب له السموءل الى الحارث فسار اليه بكتابه وترك عند السموءل بنيه وعدته وأدراعه . فلما وصل الى الحارث أكرمه وأرسله الى قيصر الروم (يوستنيانس) وكان معه من أصحابه فى تلك الرحلة عمرو بن قميئة الشاعر

وجابر بن حني التغلبي ، وقد تركه عمرو فى حدود بلاد العرب والروم وتهيب دخول تلك البلاد، فسار امرؤ القيس حتى أتى قيصر بالقسطنطينية فأكرمه وأحسن ضيافته . وقد اختلف مؤرخو العرب مع مؤرخي الروم فيما كان من قيصر اليه فى الشأن الذي قصده من أجله ، فذكر مؤرخو العرب أن قيصر امده بجيش كثيف فيه جماعة من ابناء امراء الروم ، ولكن بنى اسد كانوا قد ارسلوا خلف امرىء القيس رجلا منهم يقال له الطماح ليحول بين قيصر وبينه ، فقال لقيصر بعد ان فصل امرؤ القيس بالجيش : ان امرأ القيس غوي عاهر وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك وتراسله وهو قائل فيها فى ذلك أشعارا يشهرها بها فى العرب فيفضحها ويفضحك . فلما سمع قيصر ذلك بعث الي امرىء القيس بحلة مسمومة منسوجة بالذهب. فلبسها فى يوم صائف شديد الحر فاسرع فيه السم وسقط جلده واعتل ، فصنع له جابر بن حني رحالة وهي مركب من مراكب النساء توضع على البعير، وعني به حتى أدركه الموت بانقرة من بلاد الروم فدفن هناك

وذكر مؤرخو الروم مثل نونوز وبركوب أن امرأ القيس (وهم يسمونه قيساً) أرسل الى قيصر قبل أن يذهب اليه وفدا يطلب منه المساعدة على المنذر والفرس ، ثم ذهب اليه بنفسه فأكرمه ورغبه ووعده ، ثم قلده إمرة فلسطين فسار اليها فلم يكد يصل الى أنقرة حتى أصيب بعلة الجدرى ، وهى علة ذات قروح تصيب الجسم فمات بها ودفن بانقرة

إذا أردنا أن نرجح بين الروايتين فرواية مؤرخي الروم ارجح من رواية مؤرخى العرب ، لان ذلك وقع ببلاد الروم فمؤرخوها ادري به من غيرهم ، ولم تكن العرب تعرف مرض الجدرى فلما اصيب به أمرؤ القيس وقع منهم موقع الغرابة ، ونسبوه الى تلك الحلة ، واخترعوا (١) لموته تلك القصة

(١) قد رأى ابو الفداء فى تاريخه انها خرافة ج ١ ص ٧٥

وذلك شأن كل غريب يحار عامة الناس فى إدراك علته ، وقد روى ان قيصر لما بلغه موت امرىء القيس امر بان يصنع له تمثال وينصب على قبره ، ففعلوا وبقي تمثاله قائماً هناك الى ايام المامون العباسى ؛ وقد شاهده هذ الملك حينما دخل بلاد الروم لغزو الصائفة ، وهذا ايضاً مما يرجح الرواية الرومية وان قيصر لم يتغير عليه الى موته ، ولكن هل رضى امرؤ القيس من صاحب ملك ابيه فى نجد بامارته على فلسطين او بعض من بها من قبائل العرب؟ وهل رجع الى ثار ابيه وملكه وهو الذى رحل الى قيصر من اجله ؟

ذلك مانشك فيه او نرجح عدم رضاه به ، وانه اذا كان لم يظهر لقيصر شيئاً من عدم الرضا فقد رجع من عنده وهو يحمل من الم الخيبة ماقضى عليه فى طريقه. وقد حاول بعض أدباء عصرنا أن يثير شكا فى قصة رحلة أمرىء القيس إلى قيصر بالقسطنطينية ، وزعم أن ذلك لو كان صحيحا لجاء فى شعره شيء عن هذه المدينة العظيمة التى تأخذ بنفس من يراها ؛ ولجاء فى شعره شيء أيضا عما شاهده فى رحلته إلى تلك البلاد ، ولا يخفى أن هذا كلام لا يصح أن يقال بعد أن جاء خبر رحلته فى كتب مؤرخى الروم السابقين ، ويؤيدهم فى ذلك مؤرخوهم فى عصرنا . وقد قال نيكلسون فى كتابه تاريخ آداب العرب : كان حجر أبو امرىء القيس ملكا على بنى أسد فتوجه امرؤ القيس إلى القسطنطينية واكرم الامبراطور يوستنيانوس وفادته لانه كان يود أن يعيد مملكة كندة لتكون شوكا فى جنب الفرس وجعله أميرا على فلسطين فتوفى فى أنقرة وهو ذاهب اليها ، ثم إن امرأ القيس لم يذهب الى القسطنطينية ليقول فيها الشعر ، ولم يكن مرتاح الخاطر حتى تاخذ به عظمتها ، وتنطقه بالشعر فى ذكرها ووصفها ؛ ولم يخل شعره مع هذا من شيء يتعلق برحلته إلي قيصر ، ووصف بعض مشاهده فيها ، وفى القسطنطينية أيضا على

قصر مدة إقامته بها ، ومن ذلك قوله :

تذكرت هنـــدا وأترابها فأصبحت أزمعت منها صدودا
ونادمت قيصر فى ملكه فأوجهني وركبت البريدا

ويمكننا أن نستخلص من حال امرىء القيس بعد وفاة أبيه أن حياته بعد ذلك لم تكن خيرا من حياته الاولى ، وأنه سفك فى ثأر أبيه دماء كثيرة ونسى أن قتله كان بسبب ظلمه وتجبره ، ثم طلب ملكه من طريق سفك الدماء ، وكان يجب عليـــه حينما قصده وفد بنى أسد للصلح أن يطلبه منهم بالسلم ، ويميلهم اليه بالعفو الذى لم يطلبوه منه ، فلا يكون فى ذلك عار عليه ، ولكنه قضى شبابه فى سفك الدماء للتلصص فليسفك الدماء بعده فى طلب الملك ، وليطلبه من ذلك الطريق ليسير فيه إذا ظفر به سيرة أبيه ، ويظلم رعيته كظالمها ، ومع هذا فشعره فى هذا الطور من حياته خير منه فى طوره الاول ، لانه صحا فيه قليلا من غفلته بعد أن تفرق عنه أعوانه . وخذله أنصاره ، وأخذ الدهر يقلب له ظهر المجن ، ويقف به من الناس موقف الضعيف المستنجد

وقد ذكر اكثر المؤرخين أن امرأ القيس عاش فى القرن السادس الميلادى ، وقد يكون أقدم من ذلك حتى إن بعضهم يرجح انه عاش قبل القرن الخامس ، وإذا كان أبوه قد قتل سنة ٥٢٩ م فيكون الارجح أنه ولد سنة ٥٠٠ م كما يذكره رينان الفرنسى ، وقيل إنه ولد سنة ٥٢٠ م وتوفى سنة ٥٦٥ م ، وقيل إنه توفى سنة ٥٤٠ م ، ولا يمكن الباحث أن يصل إلى يقين فى ذلك ، لأنهم لم يكونوا يعنون بزمن ميلادهم ووفاتهم كما نعنى به فى أيامنا .

عقيدة امرىء القيس

للدين أثر فى حياة صاحبه وأدبه من شعر ونثر ، فلا بد من البحث عن دين امرىء القيس بعد درس حياته ، وقبل الكلام على شعره ، ولا بد أن نضع نصب أعيننا من أول الامر ما فعله جده الحارث بن عمرو من أخذه بالمزدكية ليوليه قباذ على الحيرة ، بعد أن أبى المنذر بن ماء السماء موافقته عليها ، فذلك يدل أقوى دلالة على أن هذه الأسرة الكندية كانت تتاجر فى عقيدتها ، ولا تعرف عقيدة تستقر عليها ، فالعقيدة الدينية عندها وسيلة وتعدها ق[illegible] رة نفسها ما كانت تقر بعقيدة من العقائد ، وقد تركت المزدكية بعد أن مات قباذ وعزل انو شروان الحارث بن عمرو عن الحيرة ومما يدل على هذا ما كان بين أبناء الحارث من تحارب وتقاتل حينما أوقع المنذر بينهم ، ومن أصول المزدكية تحريم القتل والحرب . قال الشهرستانى فى الملل والنحل (كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والاموال أحل النساء وأباح الاموال

ومن هذا يمكننا أن نحكم بأن امرأ القيس نشأ فى بيئة لا تعنى بدين ولا عقيدة ، ولا يدين افرادها إلا بمصلحتهم الدنيوية وملذاتهم فى الحياة ، وأى عقيدة تكون فيها مصلحتهم فهم يتظاهرون باعتناقها ليتوصلوا بها إلى تلك المصلحة ، فلا تعنيهم وثنية العرب ولا اصنامها ، ولا مزدكية الفرس ولا مجوسيتها . ولا نصرانية الروم ، ولا يهودية بنى إسرائيل وقد كانت منتشرة فى دولة حمير التى كانت دولتهم فرعا منها . فتأثر امرؤ القيس بهذه البيئة ونشأ فيها بلا عقيدة . وقضى شبابه لا يعبد فيه إلا شهوته ، ويستبيح فيها

مايستبيح من عرض ونفس ومال . ويرى بعض (١) العلماء انه كان فى ذلك مزدكى العقيدة ، وانه كان يأخذ بالمزدكية كما كان ياخذ بها آباؤه ، ولا يخفى ان المزدكية إذا كانت تبيح العرض والمال لا تبيح قتل النفس . وكان امرؤ القيس يستبيح ذلك فى شبابه . فلما قتل ابوه لم يرضه قتل واحد به من بنى اسد كما عرضوا ذلك عليه . بل اراد أن يستأصلهم كلهم به ، وقد ذكروا ان امرأ القيس حينما خرج لحرب بنى اسد مر بتبالة وفيها ذو الخلصة . وهو صنم لخثعم كانت العرب تعظمه ، وتستقسم بالأزلام عنده . فاستقسم عنده بقداحه الثلاثة (الآمر والناهى والمتربص) فاجالها ثلاث مرات لايخرج له فيها الا الناهى ، فجمعها وحطمها وضرب بها فى وجه الصنم وقال له : عضضت بأير ابيك لو كان أبوك قتل ماعوقتنى ، ولا شك ان هذا يدل اقوى دلالة على انه لم يكن يعنى بعقيدة فى حياته ، وانه لم يكن يعرف الا هواه ومصلحته ، فاذا لم توافق عقيدة هواه ضرب بها عرض الحائط . ولا فرق عنده فى ذلك بين وثنية العرب وغيرها من الديانات التى كانت شائعة فى عهده . واما اسمه (امرؤ القيس) فلا يدل على عقيدة له فى هذا الصنم (القيس) او غيره من اصنام العرب . فقد يكون سمى به من أجل شخص محبوب سمى به ، لا من اجل عبادتهم له او اعتقادهم به . وكم من ملحد الآن اسمه محمد او على او غيرهما من الاسماء الاسلامية فلا تدل اسماؤهم على عقيدتهم . فكذلك لايمكن ان يكون لاسم امرىء القيس من القيمة فى الدلالة على عقيدته مثل حاله فى حياته وحال اسرته

وقد عد بعضهم (٢) امرأ القيس فى شعراء النصرانية ، وذكر ان آباءه أخذوها من الحيرة حينما ملكوا عليها ، مع انهم لم يصلوا إلى ذلك الا بأخذهم

(١) القس انستاس الكرملى (٢) القس لويس شيخو

بالمزدكية ، وموافقتهم قباذ ملك الفرس عليها ، فلم يكونوا فى عهدهم بالحيرة يعرفون غيرها ، وقد كان لامرىء القيس عمة نصرانية هى هند بنت الحارث زوج المنذر بن ماء السماء وام ابنه عمرو وصاحبة دير هند ، ولكن ذلك لايدل على نصرانيته اونصرانية امرته ، لانهم كانوا بالبادية بعيدين عن بيئتها وهى لم تتنصر الا بالحيرة ، وقد كان زوجها المنذر وثنيا وهو اقرب الناس اليها ، على انه قيل (١) انها كانت من غسان ولم تكن من كندة ، وهذا هو الأشبه بها ، وكانت هذه الاسماء (هند والحارث وعمرو) تكثر بين الغساسنة ايضا ، ولكنى لا أستبعد أن يكون امرؤ القيس قد فعل مع قيصر الروم حينما خذله العرب وأراد أن يستنصر به مافعله جده الحارث مع قباذ ملك الفرس حينما وافقه على المزدكية ليملكه على الحيرة ، فتظاهر بالنصرانية وهو لا يريد أن يتخذها عقيدة يدين بها ، وإنما يريد أن يتخذها وسيلة إلى مأربه ، وبهذا يعلل مافعله قيصر به بعد موته من اكرامه وإقامة تمثال له على قبره

وقد يرد فى شعر امرىء القيس اسم الله ، ولكن غير مقرون بما يفيد تمكن الاعتقاد به من نفسه كما يقول فى شعر له :

سموت اليها بعد ما نام أهلها   سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت سباك الله إنك فاضحى   ألست ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبرح قاعدا   ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
حلفت لها بالله حلفة فاجر   لناموا فما إن من حديث ولا صال

وينسب إلى امرىء القيس هذا البيت :

والله أنجح ما طلبت به   والبر خير حقيبة الرجل

ولكن هذا لايشبه شعره ، ولعله من شعر غيره ، وكذلك ماينسب اليه

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام

من الشعر الذى ينحو هذا النحو ، فهو أشبه شيء بشعر حنفاء ذلك العصر ولا يشبه شيئا من شعر خلعائه مثل امرىء القيس ونحوه

لغة امرىء القيس وشعره

اللغة التي روى لنا بها شعر امرىء القيس عدنانية مثل لغة غيره من الشعراء العدنانيين ، فاذا كانت كندة قبيلة امرىء القيس على ما رجحنا من القبائل العدنانية فموافقة لغته لشعره ظاهرة ، وإذا كانت على ما يراه جمهور النسابين من القبائل القحطانية فان أسرة امرىء القيس من كندة كانت قد انتقلت إلى نجد ، وحكمت على القبائل العدنانية من عهد حسان بن تبع فى أوائل القرن الخامس الميلادى (٤٢٠ — ٤٢٥) فعاشت هذه الاسرة بين القبائل العدنانية القرن الخامس كله ، قبل أن يظهر شاعرها امرؤ القيس فى أوائل القرن السادس ، وفى هذه المدة كانت الحبشة قد استولت على اليمن ، وأزالت منها دولة حمير . فانقطعت صلة دولة كندة بها . وأخذت تتجه نحو الشمال وتقوى صلاتها بالقبائل العدنانية ، وتنشىء لها فروعا ودويلات صغيرة فى قبائلها . ومن تلك الدويلات الكندية دولة حجر والد امرىء القيس فى بني أسد . فكل هذا الزمن وكل هذه العوامل جعلت من أسرة امرىء القيس الكندية القحطانية فى مذهب جمهور النسابين أسرة عدنانية فى لغتها وأدبها ، وشعرها ونثرها ، ولذلك شواهد كثيرة فى عصرنا الحاضر ، وقد كفى أقل من ذلك الزمن فيه لصبغ أسر كثيرة حكمت فى أمة ليست منها بصبغتها . فاصبحت مثل جميع أفرادها فى لغتهم وعاداتهم وغير ذلك من أمرهم

ويضاف إلى هذا فى امرىء القيس أن أمه فاطمة كانت من قبيلة تغلب العدنانية ، وللأم تأثيرها فى طبع ابنها على لغتها وعادات قومها ، وقد أخذ امرؤ القيس الشعر على شاعرين عدنانيين (خاله مهلهل بن ربيعة ، وأبى دواد

الايادى) وكان شاعر أبيه عبيد بن الابرص الاسدى عدنانيا أيضا ، وكان له تاثير فى شعره يقرب من تاثير هذين الشاعرين ، فاجتمع بهذا كله من العوامل فيه من جهة شخصه وأسرته ما جعله وهو ذاك الشاعر القحطانى فى مذهب جمهور النسابين صاحب ذلك الشعر العدنانى

ولا شيء بعد هذا على رواة شعر امرىء القيس من علمائنا الاولين ، ولا يصح أن يطعن عليه من هذه الجهة : وقد غفل بعض علماء العربية (١) من الانجليز عن تلك العوامل وتبعه فى الغفلة عنها بعض أدباء عصرنا ، فحكم بأن الشعر الذى يروى لامرىء القيس مختلق عليه لأنه كان من قحطان وهذا الشعر عدنانى اللغة ، ونحن قد نعذر فى هذا العالم الانجليزى ، لانه مهما بلغ من درس العربية لا يصل الى مانصل اليه من خفاياها ، ولكننا لانعذر ذلك الاديب الذى انخدع به وبنى مابنى من الاوهام على مذهبه ، ولو صح درس الشعر بهذه الطريقة لامكن بعض الادباء أن يحكم بعد ألف سنة بأن شعر احمد شوقى من شعراء عصرنا الحاضر مختلق عليه ، لانه غير عربي وشعره عربى اللغة ، ولا يكلف نفسه درس العوامل التى جعلته يقول الشعر العربى وهو من أصل غير عربى

نعم ان اللغة العدنانية كانت مختلفة اللهجات وشعر امرىء القيس لايمثل لهجة قبيلته ، ومثله فى ذلك غيره من الشعراء ، فهل وجد الشعر فى العربية قبل اختلاف لهجاتها او لم يوجد فيها إلا بعد اختلافها ؟ وفى ذلك عندى مفتاح هذا الامر المغلق ، ولا شك أنه من غير المعقول أن تبقى العربية قبل اختلاف لهجاتها فى عهد طويل بلا شعر ولا أدب، حتى اذا كانت قبل الاسلام بنحو خمسين ومائة سنة حدث ذلك فيها فجأة ، وإذن يمكننا أن

(١) الاستاذ مرجليوث

بحكم بأنه كان في العربية أدب وشعر قديم قبل اختلاف لهجاتها، وكان اللاحق فيه يجرى على منوال السابق، أو يجدد مثل تجديدنا اليوم في عصرنا الحاضر تجديدا يتعلق بالشكل دون الجوهر، فكان للادب من ذلك العهد البعيد لغة متفقة يجرى عليها الادباء والشعراء من كل القبائل الا في النادر، ولا يؤثر فيها اختلاف لهجات قبائلهم، وكان في تلك اللغة الادبية وحدتهم واتفاقهم كامة من الامم، والوقوف باختلاف لهجاتهم عند الحد الذى لا يؤثر في اتفاقهم عليها، وسهولة تفاهمهم بها، ولولا ذلك لتبلبلت ألسنتهم بها، وكان منهالهم لغات كثيرة تستقل كل لغة منها عن اللغة الاخرى، وانه لتوجد نصوص من الشعر الذى روى لنا في الزمن الذى قيل فيه قبيل الاسلام تدل على قدم الشعر في العربية، ووجود شعراء فيها سبقوا هذا الزمن بقرون قليلة أو كثيرة، حتى أصبحوا ولا تعرف إلا أسماؤهم، ولولا ورودها في هذا الشعر لنسوا كما نسى غيرهم، ومن ذلك ابن خزام الذى ورد في قول امرىء القيس :

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خزام

ولا يعرف عن ابن خزام هذا إلا أنه كان رجلا من طيء، وقد يكون من غيرها، ولم يرو أحد شعرا عنه، ولم يسمع باسمه في غير هذا البيت

وقال زهير بن أبى سلمى :

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا

يشير الى أن كثيرا من أقوال الشعراء في عصره مستعار من شعراء كانوا أقدم منهم

وقال عنترة العبسى :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

يعد بهذا نفسه محدثا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه، ولم يتركوا له شيئا

واللغة الادبية التي نقول بها قبل الاسلام لا تمتاز عن لغة التخاطب في ذلك العهد الا باتفاقها وجريانها على أصل اللغة قبل اختلاف لهجاتها ، وبأنها يقصد فيها الى صناعة البلاغة بخلاف لغة التخاطب ، وقد تكون لهجة من تلك اللهجات كاللهجة القرشية مثلا أقرب إلى تلك اللغة من غيرها ، ولهذا أسبابه المعروفة في اللهجة القرشية من اجتماع أئمة الادب في مواسم الحج وسوق عكاظ وغير ذلك من مواطن قريش أصحاب تلك اللهجة . أما الاعراب فكانت تشترك لغة التخاطب على اختلاف لهجاتها مع تلك اللغة فيه ، ولا يشذ عنها فيه إلا لهجات نادرة ، وكثير من أدباء عصرنا الحاضر يقول بأن ذلك العهد كان مثل عهدنا فيه لغة أدبية معربة ، ولغة تخاطب غير معربة، ولا يوجد من الادلة ما يساعده على مذهبه

جمع شعر امرىء القيس

كان الشعر العربي قبل العصر العباسي وبعض العصر الاموي بعضه محفوظا في الصدور ، وبعضه مكتوبا في السطور . وكتابة الشعر قديمة ترجع إلى عهد المنذرة ، فلما جاء علماء هذا العصر عنوا بتدوين ذلك الشعر ، وجمع شعر كل شاعر في ديوان خاص به . وقد عني بجمع شعر امريء القيس من ثقاة الرواة أبو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ، ثم جاء بعدهم أبو سعيد السكري فجمع رواياتهم كلها وجودها ، وجاء بعد أبي سعيد أبو العباس الاحول فجمعه أيضا ولكنه لم يتمه ، وكذا ابن السكيت فجمعه وأتمه . وقد عني بروايته وجمعه أيضا من الثقاة أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني والمفضل الضبي ، وأوثق رواياته رواية أبي حاتم السجستاني عن

الاصمعى ، وهذا ماقاله أئمة الجرح والتعديل فى بعض هؤلاء الرواة

(١) أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة ، وكان أعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر ، وكانت جميع أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية ،وقد كتب عنهم كتباملأت بيتاله إلى قريب السقف ثم تنسك فأتلفها كلها ، فلما رجع الى علمه الاول لم يكن عنده الا ماحفظه بقلبه ، وهذا يدل على عنايته بأمر مايرويه ، وأنه فى ذلك اتلف هذا القدر البالغ من الكتب لعدم ارتياحه اليه ، ثم اقتصر على ماارتاح اليه منه ، وقد روى يونس بن حبيب أنه سمعه يقول : مازدت فى شعر العرب قط إلا بيتا واحدا وهو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت   من الحوادث الا الشيب والصلعا

وهو من أبيات للاعشى مشهورة ، ويكفى فى أمر أبى العلاء أنه من القراء السبعة ، ومن لايتهم فى رواية القرآن لايتهم فى رواية الشعر ، وتوفى ابو عمرو سنة أربع وخمسين ومائة

(٢) الاصمعى : هو عبد الملك بن قريب امام ثقة أيضا فى الاخبار واللغة والنحو . قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى يقول : ماعبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الاصمعى ، وقال أبو احمد العسكرى : لقد حرص المأمون على الاصمعى وهو بالبصرة أن يصير اليه فلم يفعل واحتج بضعفه وكبره ، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه ليجيب عنها ، وكان شديد الاحتراز فى تفسير الكتاب والسنة ، فاذا سئل عن شىء منهما يقول العرب تقول معنى هذا كذا ولا أعلم المراد منه فى الكتاب والسنة أى شىء هو ؟ وكانت وفاته سنة ٢١٦ هـ

(٣) ابو عبيدة : هو معمر بن المثنى ، وقد قال الجاحظ فيه : لم يكن فى الارض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم منه ، وكان يغلب عليه العلم

باشعار الغريب وأخبار العرب وأيامها ، وهو والاصمعي وأبو زيد الانصاري أئمة عصرهم في ذلك ، وكان أبو عبيدة أكمل الثلاثة ، وأبو زيد أعلمهم بالنحو ، وكان علي بن المديني يحسن ذكر أبي عبيدة ويصحح روايته ، ويقول إنه لم يكن يحكي عن العرب الا الشيء الصحيح ، وكانت وفاته سنة ٢٠٩ ﻫ

(٤) ابو حاتم السجستاني : هو سهل بن محمد ، وكان كثير الرواية عالما باللغة والشعر ، حسن المعرفة بالعروض ، كثير التأليف للكتب في اللغة ، صادق الرواية يتبحر في الكتب ويخرج المعمى ، وهو حاذق بذلك دقيق النظر فيه . وكانت وفاته سنة ٢٥٥ ﻫ

وأكثر الكتب التي عنيت بجمع أشعار امرىء القيس أو شرحها تعتمد على رواية هؤلاء العلماء ، وخصوصا رواية أبي حاتم عن الاصمعي ، وهذه هي الكتب التي عثرنا عليها في ذلك وما تعتمد عليه من رواية هؤلاء العلماء :

ا : شرح ديوان امرىء القيس للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي النحوي المتوفى سنة ٤٩١ ﻫ وقد طبع مرة بعد مرة ، وتناقلته أيدي الناس ، ولم تذكر فيه الرواية التي اعتمد عليها في جمعه شعره ، ولكن الظاهر أنها رواية أبي حاتم عن الاصمعي ، الا في قصيدتين لم يذكرهما بعض من اعتمد عليها فيما يأتي ، وهذه مطالع قصائده ومقطعاته :

(١) أحار بن عمرو كأني خمر
(٢) قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
(٣) ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
(٤) خليلي مرا بي على أم جندب
(٥) سما لك شوق بعدما كان أقصرا
(٦) أعني على برق أراه وميض
(٧) ألا إن قوما كنت أمس دونهم
(٨) غشيت ديار الحي بالبكرات
(٩) لمن طلل أبصرته فشجاني
(١٠) قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان
(١١) دع عنك نهبا صيح في حجراته

(١٢) أرانا موضعين لحتم غيب
(١٣) لعمرك مابقلبي إلى أهله بحر
(١٤) ألما على الربع القديم بعسعسا
(١٥) ديمة هطلاء فيها وطف
(١٦) أماوي هل لي عندكم من معرس
(١٧) يادار ماوية بالحائل
(١٨) رب رام من بني ثعل
(١٩) أيا هند لا تنكحي بوهة
(٢٠) ألا قبح الله البراجم كلها
(٢١) والله لا يذهب شيخي باطلا
(٢٢) إن بني عوف ابتنوا حسبا
(٢٣) ألا يالهف هند إثر قوم
(٢٤) لمن الديار غشيتها بسحام
(٢٥) ألا إلا تكن ابل فمعزى
(٢٦) أحار ترى برقا وهب هنا
(٢٧) كأني اذ نزلت على المعلى
(٢٨) لنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره
(٢٩) أبعد الحارث الملك بن عمرو
(٣٠) اني حلفت يمينا غير كاذبة

ب : دواوين الشعراء الستة الجاهليين (امرؤ القيس وعلقمة وزهير والنابغة وطرفة وعنترة) وتوجد منه نسخة بالمكتبة الملكية المصرية مخطوطة بقلم مغربي ، ويوجد على شعرها شروح وتقييدات ، وقد ابتدأ جامعها من شعر امرىء القيس برواية أبي حاتم عن الاصمعي ، فذكر ثماني وعشرين قصيدة من شعره ، وهي القصائد التي شرحها الوزير أبو بكر ماعدا الاولى والاخيرة منها ، ثم ذكر في آخرها هذه الكلمات : قال أبو حاتم هذا خر ماصحح الاصمعي من شعر امريء القيس والناس يحملون عليه شعرا كثيرا وليس له انما هو لصعاليك كانوا معه ، قال يوسف ابن سليمان (لعله جامع هذه الدواوين) ونذكر قصائد متخيرات مما لم يرو أبو حاتم ، فمن ذلك ماروواه أبو عمرو والمفضل وغيرهما ، وكان الاصمعي يزعم أن هذه القصيدة لرجل من النمر يقال له ربيعة بن جشم :

(١) أحار بن عمرو كأني خمر
(٢) ألا انعم صباحا أيها الربع وانطق

(٣) أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص (٥) حي الحمول بجانب العزل
(٤) تطاول ليلك بالأثمد (٦) جزعت ولم أجزع من البين مجزعا

وقد جاء فيه أن قصيدة (أعنى على برق أراه وميض) يقال إنها لابى دواد الايادى ، وهى من رواية أبى حاتم عن الاصمعي، فهناك ثلاث قصائد مما ذكره الوزير أبو بكر من رواية أبى حاتم عن الاصمعي مختلف فيها ، ويضاف اليها مقطعة (ألا إلا تكن إبل فمعزى) فقد حكى الوزير أبو بكر فى شرحه أن الاصمعى قال إن امرأ القيس لايقول هذا وأحسبه للحطيئة ، وقيل إن قصيدة (خليلى مرابى على أم جندب) ليست لامرىء القيس أيضا

ج : العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين (النابغة وعنترة وطرفة وزهير وعلقمة وامرؤ القيس) وهو مطبوع بالمطبعة الكلية بمدينة غريفز والد سنة ١٢٨٦هـ الموافقة سنة ١٨٦٩م ، وقد عنى بتصحيحه وتهذيبه وترتيبه مسيو وليم بن ألورد البروسى، ويظهر أن هذا الكتاب هو الكتاب السابق بعينه ، ولم يزد العالم البروسى فيه إلا أن رتب قصائده على الحروف الابجدية ، ثم جمع فيها بين روايات الاصمعى وأبى عمرو بن العلاء والمفضل وأبي سعيد السكرى وزاد كثيرا فى تلك الروايات ، ولم يميز بعضها عن بعض كما فعل ذلك الاصل ، ولولاه لفاتت هذه الفائدة التاريخية الجليلة، ثم أضاف اليه ذيلا يشتمل على المنحول لاولئك الشعراء من غير تلك الروايات ، وفيما يشتمل على ماوجده فى النسخ الباريسية والغوطية واللندنية من ذكر السبب الذى قيلت لاجله قصائد الشعراء الستة . وهذه هى القصائد والمقطعات التى زادها فى تلك الروايات :

(١) سألت بهن نطاع فى رأد الضحى (٣) ألا أبلغ بنى حجر بن عمرو
(٢) سقى واردات والقليب ولعلعا (٤) خليلى مافى الدار مصحى لشارب

(٥) الخير ماطلعت شمس وما غربت — (١٩) لاتسلمنى يار بيع لهذه
(٦) يابؤس للقلب بعد اليوم ما آبه — (٢٠) واثعلا وأين منى ثعل
(٧) أذود القوافى عنى ذيادا — (٢١) أحلات رحلى فى بنى ثعل
(٨) تهز بدان أمسى قرقرا جلدا — (٢٢) أرقت لبرق بليل أهل
(٩) أرى إبلى والحمد لله أصبحت — (٢٣) تنكرت ليلى عن الوصل
(١٠) أبلغ بنى زيد إذا مالقيتهم — (٢٤) ماهاج هذا الشوق غير منازل
(١١) أرى ناقة القيس قد أصبحت — (٢٥) وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا
(١٢) منعت الليث من أكل ابن حجر — (٢٦) أبلغ شهابا بل فأبلغ عاصما
(١٣) عفا شطب من أهله فغرور — (٢٧) لم تسبنا خيلكم فيما مضى
(١٤) رب طعنة مثعنجرة — (٢٨) عيناك دمعهما سجال
(١٥) لمن طلل داثر آيه — (٢٩) أتانى وأصحابي على رأس صيلع
(١٦) إذا ما كنت مفتخرا ففاخر — (٣٠) أني على استتب لو مكما
(١٧) لعمرى لقد بانت بحاجة ذى الهوى — (٣١) تطاول الليل علينا دمون
(١٨) ثوي عند الودية جوف بصرى — (٣٢) ألا ياعين بكى لى شنينا

(٣٣) بدلت من وائل وكندة عد — وان صمى ابنة الجبل

وهذه هي القصائد والمقطعات المنحولة له من غير تلك الروايات ، وقد ذكر معها أيضا بعض أبيات تنحل له فى القصائد السابقة :

(١) قالت الخنساء لما جئتها — (٤) طرقتك هند بعد طول تجنب
(٢) أجارتنا إن الخطوب تنوب — (٥) ألم يخبرك أن الدهر غول
(٣) أأذكرت نفسك مالن يعودا — (٦) الحرب أول ماتكون فتية
(٧) لمن طلل بين الجدية والجبل — محل قديم العهد طالت به الطول
(٨) لمن طلل بين الجدية والجبل — مكان عظيم الشأن طالت به الطيل

د : شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين : (أمرؤ القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة) وتوجد نسخة منه بالمكتبة الملكية المصرية ليس فيها اسم مؤلفه، وإنما فيها أنه ألفه وأهداه لسيف الدولة أبي الوليد إسماعيل بن المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبى عمر عبادبن محمد بن عباد ، وهي مخطوطة بقلم مغربي بخط أحمد بن عبد بن المختار ، وقد انتهى منها فى الثالث من جمادى الآخرة ١٢٨٢ هـ ، وقد اعتمد مؤلفه فيما اختاره على رواية الاصمعى لما ذكر من تواطؤ الناس عليها ، واتفاق أهل العصر على تفضيلها ، ثم أتبعها بقصائد متخيرة من رواية غيره ، ولكنه لم يذكر من القصائد التى رواها الاصمعى إلا بعضها ، ولم يستوعبها كلها ، لانه كان يقصد فى تأليفه إلى الاختيار دون الاستيعاب

هـ : نزهة ذوى الكيس وتحفة الادباء فى قصائد امرىء القيس أشعر الشعراء وتوجد منه نسخة بالمكتبة الملكية المصرية مطبوعة بدار الطباعة السلطانية فى باريس سنة ١٨٣٦ م ، ومعها مقدمة وترجمتها وبعض ملاحظات عليها باللغة الفرنسية لدى سلان ، وهو يعتمد على أبى الحجاج يوسف بن سليمان فيما جمعه من شعر امرىء القيس فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، ولكنه أسقط المعلقة من رواية أبى حاتم ، وذكر كل ماعداها مما ذكره فى روايته وروايات غيره

و : ديوان امرىء القيس : وهو رواية أبي سهل خربنداذ بن ماخرشيذ عن أبي الحسن على بن عبد الله بن سنان الطوسى ، وأبى نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبى عمرو الشيبانى ، وعليه شرح لقصائده من رواية أبى سهل أيضاً عن الطوسى وأبى نصر . وتوجد منه نسخة بالمكتبة الملكية مخطوطة بقلم اسماعيل عبد الحكيم بن محمد الاستانبولى ، وقد نقلها للشيخ

محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطى عن نسخة كتبت سنة ٤٠٩ هـ ، وقد جاء فى في أولها (قال أبو الحسن الطوسى قال الاصمعى ....) ولم يرد ذكر أبى نصر إلا فى شرح بيت أو نحو ذلك ، وجاء أيضاً فى أواخرها (تمت نسخة أبى الحسن من القديم الصحيح والمنحول ومما كتبناه عن غيره من منحول شعره وهو المنحول الثانى ...) ويظهر من هذا كله أن أبا سهل خربنداذ قد روى ماجاء فى هذا الديوان عن الطوسى وحده ، وأن الطوسى رواه عن أبي نصر من رواة الاصمعي وعن ابن الاعرابى وأبي عبيدة والشيبانى ، فقد ذكرهم جميعاً فى شرحه ، وقد كان أبو نصر ممن روى عن الاصمعي ، وأما الطوسى فكان أكثر مجالسته وأخذه عن ابن الاعرابى ، ومما يريب فى صحة هذا الديوان أن ابن النديم ذكر فى الفهرست أن الطوسى لامصنف له ، وأنه لم يذكره ولم يذكر أبا نصر فيمن عنى بجمع شعر امرىء القيس ، وقد جاء فى هذا الديوان كل القصائد والمقطعات التى رواها أبو حاتم عن الاصمعى ماعدا القصائد والمقطعات صاحبة هذه الارقام (٧ ؛ ١٩ ، ٢٦ ؛ ٣٠) وقد جاء فيه مقطعة (إنى حلفت يميناً غير كاذبة) ولكن فيما ذكره مما كتبه عن غير أبى الحسن من منحول شعر امرىء القيس ، وجاء فيه أيضاً مما زاده العقد الثمين عن أصله فى غير رواية أبى حاتم القصائد والمقطعات (٣؛٥؛٧؛٨؛١١؛١٣؛ ١٤؛١٧؛١٩؛٢٠؛٢١ ؛ ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ؛ ٣٢) وهذا الى القصائد الموجودة فى أصل العقد الثمين ولم تعد فيما زاده عنه ، ولم يجيء فيه غير هذه القصائد والمقطعات مما ذكر فيهما إلا بعضا ذكر فى المنحولات التى ذكرت فى آخره ، وقد زاد عليهما فى تلك الرواية هذه القصائد والمقطعات :

(١) ولقد بعثت العنس ثم زجرتها	(٣) صرمتك بعد تواصل وعد
(٢) قد أتانى عن مرثىء مألك	(٤) لمن الديار عفون بالحبس

وهذه هي القصائد المنحولة التي ذكرت في آخره :

(١) اذكرت نفسك مالن يعوذا
(٢) ألا حي ابنة الغنوي ميا
(٣) منعت الليث من أكل ابن حجر
(٤) عجبت لبرق بليل أهل
(٥) طال الزمان وملني أهلي
(٦) صحا اليوم قلبي عن لميس وأقصرا
(٧) بني جميلة إني منهم غادٍ
(٨) إن الخليط نأوك بالامس
(٩) ألما تنزع عن أم عمرو وتيأس
(١٠) لمن الدار تعفت مذ حقب
(١١) ألم تريا وريب الدهر رهن
(١٢) بان الملوك فامسى القلب مرتابا
(١٣) إني حلفت يمينا غير كاذبة
(١٤) يا صاحبي إذا ما اخفتما غرضي
(١٥) أشاقتك من آل ليلي الطلل
(١٦) هل عادقلبك من ماوية الطرب
(١٧) تقول لي ابنة الكندي لما
(١٨) اهاجك الربع القواء المقفر
(١٩) انا القرم للقرم بين القروم
(٢٠) إن يك شيبي قد علاني وفاتني
(٢١) ديار بها الظلمان والعين تعكف
(٢٢) سقا دار هند حيث شطت بها النوى
(٢٣) أرقت فقلت في ارق العداد
(٢٤) ضنت عليك لميس بالقرض

(٢٥) اني امرؤ من خير كندة لست من أشرارها

وقد ذكر أن الخمسة الاخيرة يقال ان أولاها لرجل من كندة ، والثانية لثامة البجلي ، والثالثة لعبد الله السلمي ، والرابعة لابي دواد الايادي والخامسة لعمرو بن شاس ، وقد حكى أيضا عن أبي عمرو الشيباني أن من الكوفيين من يقول ان قصيدة (أماوي هل عندكم من معرس) لبشر بن خازم

ز : ديوان امرىء القيس : رواية أبي سهل ماخرشيذ أيضا عن أبي جعفر الكوفي وأبي عمر الاصطخري ، قال قرأت على أبي جعفر أحمد بن الحسن

الكوفى المعروف بدندان بشيراز ، ثم قرأته بفسا على ابن عمر العبدى الاصطخرى ، قال أبو جعفر قرأته على أبى العبشمى وعلى عنه من أصحاب الاصمعى ، وقال أبو عمر قرأته على أبى عبيدة الحسن العبدرى عن أبى محمد المفضل بن محمد الضبى ، وقرأته على أبى مسعود مسلمة بن عبد (بياض بالاصل) حكاه عن الاصمعى وأبى زيد ، وقد ذكر أبو سهل فى هذه الرواية بعض ما تركه فى الرواية السابقة عن الطوسى وأبى نصر من رواية أبى حاتم وغيره وهو هذه القصائد والمقطعات الآتية :

(١) الا إن قوما كنت أمس دونهم

(٢) يا هند لا تنكحي بوهة

(٣) أتانى وأصحابى على رأس صيلع

وزاد هنا أيضا على روايته السابقة هذه القصائد والمقطعات وبعضها قد عد فى السابقة من المنحولات :

(١) أظعان هند تلكم المتحمله

(٢) أجارتنا إن المزار قريب

(٣) لقد دمعت عيناى فى القر والقيظ

(٤) الا حى ابنة الجدلى هرا

(٥) صحا اليوم قلبي عن لميس وأقصرا

(٦) طال الزمان وملنى أهلى

(٧) أرى طول الحياة وإن تأيا

(٨) أبلغ سلامة أن الصبر مغلوب

(٩) ألما تزع عن أم عمرو وتيأس

(١٠) تقول لى ابنة الكندى لما

(١١) ضربنا عند مختلف العوالى

(١٢) قالت فطيمة حل شعرى مدحه

(١٣) رحلت ولم تقض اللبانة من جمل

(١٤) إني امرؤ من خير كندة لست من أشرارها

ج : ديوان امرىء القيس : ومعه شرحه مخطوط بقلم مغربى للشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطى ، وقد ذكر أنه جمعه من شعر امرىء القيس مما لم

يذكر فى ديوان الشعراء الستة أصلا ، وأنه لم يستوف فيها ، فذكره مستوفى من رواية أبي سهل خربنداذ أيضا عن أبي جعفر أحمد بن الحسن الكوفى المعروف بدنداذ ، وعن سائر مشايخه غيره ، ومن رواية أبي الحسن على بن عبد الله الطوسى ، ولكنه بعد أن ذكر فى هذه النسخة أكثر من نصف قصائدها ووصل إلى المقصورة التى مطلعها :

إن يك شيبي قد علانى وفاتنى   شبابى وأضحى باطل القول قد صحا

قال (وبهذه المقصورة تم شعر امرىء القيس من رواية الطوسى مما لم يروه الاصمعى ومما رواه وفيه زيادة لم يروها) ثم مضى فى ذكر قصائد أخرى غير مارواه أولا ، فيمكن أن يؤخذ من هذا أن هذه الرواية لا يدخل فى طريقها أبو جعفر الكوفى ، وإنما هى للطوسى وحده

وقد ورد فى هذه الرواية مما تركه أبوسهل من رواية أبى حاتم وغيره فى رواياته السابقة قصيدة (منعت الليث من أكل ابن حجر) وقدعدها فيما سبق من المنحولات ، ولكنها وردت هنا فيما ذكره بعد تلك المقصورة ، وجاء فيه أيضا من ذلك قصيدة (إذا ما كنت مفتخرا ففاخر) ثم زاد هنا هذه القصائد والمقطعات وبعضها قد عده فيما سبق من المنحولات :

(١) عجبت لبرق بليل أهل
(٢) بنى جميلة إنى منهم غادى
(٣) إن الخليط نأوك بالامس
(٤) سقى دار هند حيث شطت بها النوى
(٥) ضنت عليك لميس بالقرض
(٦) لمن الدار تعفت مذ حقب
(٧) أهاجك الربع القواء المقفر
(٨) أنا القرم للقرم بين القروم
(٩) ديار بها الظلمان والعين تعكف
(١٠) إن يك شيبى قد علانى وفاتنى
(١١) أشاقك من آل ليلى الطلل
(١٢) أرقت فقلت فى أرق العداد
(١٣) ألم تريا وريب الدهر رهن
(١٤) بان الملوك وأمسى القلب مرتابا

(١٥) ياصاحبي إذا ماخفتما غرضى (١٦) ألا حى ابنة الغنوى ميا

وقد ذكر فى بعض هذه القصائد انه يقال إنها منسوبة لغير امرىء القيس ممن نسب بعضها اليهم فيما مر من رواياته او غيرهم

فاذا أردنا ان نحصر مانسب الى امرىء القيس من القصائد فى مختلف تلك الروايات وجدناها تجاوز المائة ، ولا يدخل فى هذا القصائد المنحولة ، والذي ذكره المحققون أن امرأ القيس كان شاعرا مقلا ، وأنه لا يصح له من الشعر إلا عشرون بين قصيدة ومقطعة ، ولاشك أن الروايات التى نقل عنها أبو سهل خربنداذ لا يوثق بالقصائد التي انفردت بها : لاضطرابها وعدم ضبطها : وقلة شهرة رجالها ، ولم نعثر فى كتاب ابن النديم إلا على اثنين منهم (على بن عبد الله الطوسى وأحمد بن حاتم) ولكنه لم يذكرهما فيمن عني بجمع شعر امرىء القيس ، واما أبو جعفر الكوفى وأبو عمر الاصطخرى فلم نعثر عليهما فيه ، مع انهما أخذا عن تلامذة الاصمعى وغيره من أهل عصره ، وقد أخذ عنهما أبو سهل ، فالثلاثة أسبق وجودا من ابن النديم فعدم ذكرهم فى كتابه يوقعنا فى ريب من أمرهم ، ولا يجعلنا نثق بما انفردوا ...رىء القيس فى رواياتهم

وهذا هو رأينا فى هؤلاء الرواة المجهولين ، وإن كان الشيخ الشنقيطى قد عني برواياتهم المختلفة ، واهتم بجمعها فى تلك الدواوين المخطوطة بالمكتبة الملكية ؛ فجميعها كانت مملوكة له ؛ وهو الذى أمر بنقلها من المكاتب المختلفة فى البلاد التى تنقل اليها ، ولعلى أكون قد أحسنت بهذه الاشارة الوافية إلى مافيها من القصائد والمقطعات التى تنسب الى امرىء القيس ، حتى يهتم لها من يطبعها وينشرها بين الناس ، ويحفظها من الضياع الذى يوشك أن يلحقها إن لم يهتم أحد بطبعها

شعر امرىء القيس فى لهو حياته

قضى امرؤ القيس هـذا العهد فى عيش ناعم ، وحياة خالية من الهموم والغموم ، وبيئة حرة لاتتقيد بعرف ولادين ، يتقلب بين ربى نجد وأوديتها وتضحك له مرة غياضها ، وتعبس له تارة بواديها ، فتتأثر بذلك الفاظه ومعانيه فى شعره ، وتأتي مرة سهلة ضاحكة ، و حينا خشنة مغلقة ، ولا يجاوز فى ذلك من أغراض الشعر ماتقتضيه هذه الحياة اللاهية

(١) التشبيب : وكان يتأثر فيه بحب مادى فاجر كان فيه إمام ابن أبي ربيعة والفرزدق وغيرهما ممن أتى بعـده ، وسن فيه سنته ، فلم يخلص فيه لواحدة من صواحبه ، وإنما أخلص للذته وشهوته ، فطلب فيهما كل واحدة اشتهاها ، حتي إذا قضى لذته منها انتقل إلى غيرها ونسيها، فليس فى تشبيبه لوعة العاشق المستهام ، ولا حرقة الصب المتيم ، ولا يعدو ذكر النساء ومحاسنهن ، وأحاديثه معهن ، والوقوف على ديارهن لذكر لهوه بهن

(٢) الفخر : وكان يتحدث فيه أمام صواحبه عن شجاعته وقوته ، وركوبه الخيل فى الصيد والغارات ، وقطعه المهامه بناقته لا يخاف بأسها ، ولا ترهبه وحشتها ، وهو فى ذلك بدوى صميم ، متجهم الالفاظ ، خشن الاساليب ، لاتلمس فى شعره شيئا من الرقة التي قد تلمسها فى تشبيبه

(٣) الوصف : وكان يتعلق بالامور التى كان يعنى بها فى شبابه ، فكان يصف مجالس الانس والشراب ، ويصف الخيل والنوق وبقر الوحش والنعام والحمر وغير ذلك من أنواع الحيوان التى كان يعنى بصيدها ، ويذكر فى شعره طراده لها ، ويصف الرياض التي كان ينزل عليها ، وسحابها وبرقها ، وأشجارها وطيورها ، وغير ذلك مما كان يصفه منها . وهو فى ذلك أيضا

بدوي صميم ، يصف مظاهر البداوة فى ألفاظها البدوية ، ويذكر مشاهدها على ما تواضع عليه أهلها

وهو يجمع بين هـذه الاغراض فى كل قصائده إلا النادر منها ، وقد يكون هـذا النادر مثل غيره ولم يصل إلينا كله ، فهو لا يذكر التشبيب إلا لينتقل منه إلى الفخر بنفسه ، وذكر ما يتعلق بذلك فى حربه أو صيده أو أسفاره ، ولا ينتهى من الفخر إلا لينتقل منه إلى وصف البرق أو السحاب أو المطر أو نحو ذلك من مشاهد بلاده ، وهو فى ذلك يمثل نفسه وعدم وقوفها عند شيء واحد من عشق أو نحوه ، ويتقلب فى شعره تقلبه فى أمره ، وقد كان لا يقول هو وصعاليكه الشعر إلا حينما ينزلون على الغياض ، ويرجعون من صيد أو غارة ، ويأخذون فى الشراب وسماع أصوات القيان وذكرى المحبوبات ، وتجتمع بنفوسهم عوامل شتى تدعوهم إلى الشعر ، فتهيجهم الذكرى إلى التشبيب ، ويحركهم الظفر فى الصيد أو نحوه إلى الفخر به ، وذكر حوادثهم فيه ، ويدعوهم جمال الغياض إلى وصف برقها وسحابها وطيرها وغير ذلك من أحوالها ، فاذا أردت أن تلتمس وحدة لقصائده فى اختلاف أغراضها فى ذلك فهذا هو سبيلها ، وهذه هى الوحدة التى تجتمع هذه الاغراض فيها

وقد يكون امرؤ القيس يقصد التشبيب وحده من قصائده ، وهذا يقدمه أمام غيره ويفتتح به ، فاذا ذكر نفسه بعد ذلك وافتخر بها فليستميل بهذا محبوبته ، ويرغبها فى نفسه ، وإذا وصف البرق بعد ذلك أو نحوه فانما يصف البرق الذى يطلع من ناحية دارها ، فيعود اليها ثانيا من هذه الناحية بعد أن يفرغ من التمدح بنفسه أمامها ، وينتهى من ذلك فيها بما بدأ به من أمرها

وامرؤ القيس إذ يقدم تشبيبه فى قصائده أمام غيره من أغراضه يختلف

بذلك عن غيره ممن شبب بالنساء فى شعره ولم يشتغل بعشقهن مثله ، فهو يذكره على أنه مقصد من مقاصد قصائده ، ويقدمه عليها لانه أهمها عنده إن لم يكن هو المقصود منها وحده ، وإنما يذكر الفخر ونحوه معه لاجله ، أما غيره من الشعراء فيذكره على أنه وسيلة لما يأتي بعده من مدح أونحوه ، ولا شك أن هذا يقبل من امرىء القيس لانه كان يعشق النساء ويلهو بهن ، ولكنه لا يقبل من غيره ممن لم يعن بعشق النساء مثله ، خصوصا إذا ذهب فيه إلى ذلك الحد الذى كان لا يحلو فيه الشعر إلا إذا ابتدىء بالتغزل ، فيتكلف فيه العشق من لم يكن عاشقا ، ويكذب فى ادعاء الحب من لم يكن محبا .

وقد قضى امرؤ القيس فى ذلك العهد أكثر حياته ، وقال فيه أجود شعره ، وأنشأ أطول طواله ، لما كان فيه من فراغ البال ، وصفاء الخاطر ، والانصراف إلى اللهو والشعر . ومن أشهر ماقاله فى ذلك العهد هذه القصائد :

(١) قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل	(٤) أماوى هل لى عندكم من معرس
(٢) ألا عم صباحا أيها الطلل البالى	(٥) ألا انعم صباحا أيها الربع فانطق
(٣) ديمة هطلاء فيها وطف	(٦) أمن ذكر سلمي إذ نأتك تنوص

مختارات من شعره فى لهوه

قال فى التشبيب والفخر والوصف من قصيدته (قفا نبك) وهى من القصائد المعلقات :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقوفا بها صحبي على مطيهم (١) يقولون لا تهلك أسى وتجمل

(١) مفعول به لوقوفا

وإن شفائي عبرة مهراقة — فهل عند رسم دارس من معول
كدأبك من أم الحويرث قبلها — وجارتها أم الرباب بمأسل
ألا رب يوم لك منهن صالح — ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة — فقالت لك الويلات إنك مرجلى
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً — عقرت بعيرى ياامرأ القيس فانزل
فقلت لها سيرى وارخى زمامه — ولا تبعديني من جناك المعلل
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل — وإن كنت قدأزمعت صرمى فأجمل
أغرك منى أن حبك قاتلى — وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربى — بسهميك فى أعشار قلب مقتل
وبيضة خدر لايرام خباؤها — تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً — على حراصاً لو يسرون مقتلي
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها — لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة — وما إن أرى عنك الغواية تنجلى
خرجت بها تمشى تجر وراءنا — علي أثرينا ذيل مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحي — بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل
هصرت بفودى رأسها فتمايلت — على هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة — ترائبها مصقولة كالسجنجل
تصد وتبدو عن أسيل وتتقي — بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش — إذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم — أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات الى العلا — تضل المدارى فى مثنى ومرسل
الى مثلها يرنو الحليم صبابة — اذا ما اسبكرت بين درع ومجول

تسلت عمايات الرجال عن الصبا — وليس فؤادى عن هواها بمنسل

ألا رب خصم فيك ألوى (١) رددته — نصيح على تعذاله غير مؤتل
وليل كموج البحر أرخى سدوله — على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه — وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى — بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه — بكل مغار الفتل شدت بيذبل
وقد أغتدى والطير فى وكناتها — بمنجرد (٢) قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا — كجلمود صخر حطه السيل من عل
له أيطلا ظبى وساقا نعامة — وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
ضليع إذا استدبرته سد فرجه — بضاف فويق الارض ليس بأعزل
فعن لنا سرب كأن نعاجه — عذارى دوار فى ملاء مذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه — بجيد معم فى العشيرة مخول
فألحقنا بالهاديات (٣) ودونه — جوا حرها فى صرة لم تزيل
فظل طهاة اللحم ما بين منضج — صفيف شواء أو قدير معجل
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه — متى ما ترق العين فيه تسفل

* * *

أصاح ترى برقا أريك وميضه — كلمع اليدين فى حبى (٤) مكلل
يضىء سناه أو مصابيح راهب — أهان السليط (٥) بالذبال المفتل

(١) شديد الخصومة (٢) قصير الشعر كأنه قيد للأوابد بسرعته
(٣) المتقدمات أمام السرب (٤) سحاب متراكم (٥) الزيت

على قطن بالشيم أيمن صوبه   وأيسره على الستار فيذبل
فأضحى يسح الماء حول كتيفة   يكب على الأذقان دوح الكنهبل
كأن ثبيرا فى عرانين (١) وبله   كبير أناس فى بجاد مزمل
كأن مكاكى (٢) الجواء غدية   صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كأن السباع فيه غرقى عشية   بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٣)

وقال فى ذلك أيضا:

ألا انعم صباحا أيها الربع فانطق   وحدث حديث الركب إن شئت فاصدق
وحدث بأن زالت بليل حمولهم   كنخل من الأعراض غير منبق
فأتبعتهم طرفى وقد حال دونهم   غوارب رمل ذى ألاء وشبرق (٤)
على إثر حى عامدين لنية   فحلوا العقيق أو ثنية مطرق
فعزيت نفسى حين بانوا بجسرة (٥)   أمون كبنيان اليهودى خيفق
إذا زجرت ألفيتها مشمعلة (٦)   تنيف بعذق من غراس ابن معنق
كأن بها هرا جنيبا تجره   بكل طريق صادفته ومأزق
وقد أغتدى قبل العطاس (٧) بهيكل   شديد مشك الجنب رحب المنطق
كأن غلامى إذ علا حال (٨) متنه   على ظهر باز فى السماء محلق
رأى أرنبا فانقض يهوى أمامه   إليها وجلاها بطرف ملقلق (٩)
فقلت له صوب ولا تجهدنه   فيذرك من أعلى القطاة فتزلق
فأدبرن كالجزع المفصل بينه   بجيد الغلام ذى القميص المطوق
فأدركهن ثانيا من عنانه   كغيث العشى الأقهب (١٠) المتودق

---

(١) أوائله (٢) نوع من الطير (٣) هو البصل البرى وأنابيشه جذوره
(٤) نوع من النبات لا تقربه دابة لخبثه (٥) ناقة ماضية (٦) نشيطة
(٧) ظهور الصبح (٨) وسط (٩) حديد كثير الحركة (١٠) الابيض

فصاد لنا عيراً وثوراً وخاضبا (١) عداء ولم ينضح بمـاء فيعرق
فقلنا ألا قد كان صـيد لقانص فخبوا علينـا ظل ثوب مروق
وظل صحابى يشتوون بنعمة يصفون غارا باللكيك (٢) الموشق

وقال أيضا فى ذلك يعارض عبيد بن الأبرص فى بائيته (عيناك دمعاهما سروب)

عينـاك دمعهما سـجال كأن شانيهما أو شال (٣)
أو جدول فى ظلال نخل للمـاء من تحتـه مجال
من ذكر ليلى وأين ليلى وخير ما رمت ما ينـال
قدأقطع الارض وهي قفر وصاحبي بازل (٤) شملال
ناعمـة نائم أبجلها (٥) كأن (٦) حاركها آثال
كأنهـا عنز بطن واد تعـدو وقد أفرد الغزال
عدوا ترى بينـه أبواعا تحفزه أكرع (٧) عجـال
وغائط قد هبطت وحدى للقلب من خوفه اجثلال
صاب عليـه ربيع صيف كأن قريانه الرحال
تقـد منى نهدة سبوح صلبها العض والحبـال
كأنهـا لقوة (٨) طلوب كأن خرطومها منشال
تطعم فرخا لهـا صغيرا أزرى به الجوع والاحثال
قلوب خزان ذى أورال قوتا كما يرزق العيـال

تعلوه الكدرة (١) ظليما اغتلم فاحمرت ساقاه (٢) اللكيك اللحم والموشق المقدد (٣) الوشل الكثير من الماء أو الدمع وجمعه أوشال (٤) البازل من الابل الذى طلع نابه (٥) الابجل عرق غليظ فى الرجل أو اليد (٦) الحارك أعلى الكاهل (٧) واحده كراع وهو مادون الكعب (٨) عقاب سريعة

وغارة ذات قيروان   كأن أسرابها رعال
كأنهم حرشف مبثوث   بالجود إذ تبرق النعال
صبحتها الحى ذا صباح   فكان أشقاهم الرجال

وقال فى وصف المطر من شعر روى فيه دون غيره مما اعتاد ذكره معه من أغراضه :

ديمة هطلاء فيها وطف (١)   طبق الارض تحرى(٢) وتدر
تخرج الود (٣)إذا ماأشجذت   وتواريه اذا ماتشتكر (٤)
وترى الضب خفيفا ماهرا   ثانيـــا برثنه ما ينعفر
وترى الشجراء (٥) فى ريقها   كرؤوس قطعت فيها الخمر
ساعة ثم انتحاها   وابل ساقط الاكناف واه منهمر
راح تمريه الصبا ثم انتحي   فيه شؤبوب جنوب منفجر
ثج حتي ضاق عن آذيه   عرض خيم فخفاف فيسر
قد غدا يحملنى فى أنفه   لاحق الايطل محبوك ممر(٦)

وربما يكون بعد هذا شعر لم يرو لنا مضى فيه على عادته فى وصف فرسه ولم يقف عند هذا البيت المنفرد فيه

شعر امرىء القيس فى جد حياته

تغير فى هذا العهد حال امرىء القيس ، وأصبح لا يعنى إلا بثأر أبيه وطلب ملكه ، ولا يعنى بشىء مما كان يعنى به من لهوه ، وقد آلى على نفسه

---

(١) هدب على التشبيه (٢) تقصد ماهو الاحرى بالاصابة (٣) الوتد (٤) تشتد (٥) الشجر للواحد والجمع وقيل انه جمع شجرة (٦) مفتول عضد قويه

ألا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بطيب، ولا يلهو بلهو، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه من الجنابة حتى يدرك ثأر أبيه، فقاسى فى ذلك ماقاسى من الاهوال، وأصبح يسأل القبائل مساعدته فى أمره فيعرض عنه بعضها، ويجيبه قليل منها، ثم يقوم عليه المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة فتنفض عنه جموعه، ولا يجد من يحمى عنده أهله وماله، وتيأس نفسه من العرب أبناء جنسه، فيقصد السموءل اليهودى وقيصر الرومى، ويؤثر كل هذا فى نفسه ويظهر أثر ذلك فى شعره، فيبدو فيه كئيبا حزينا بعد أن كان يبدو فيه فرحا طروبا، ويتناول فيه من أغراضه أغراضا لم يكن يتناولها فى شبابه، ولكنه لا ينسى فى ذلك كل أغراض الشباب، خصوصا هذا التشبيب الذى كان أهم أغراضه فى شبابه فأصبح يقدمه أمام اغراضه الجديدة فى قصائده، من المدح والهجاء والشكوى وغيرها مما سنذكره بعد هذا من أغراضه، فى عهده الذى صار اليه بعد قتل أبيه، وكان يجب عليه وقد آلى تلك الالية أن يترك ذلك التشبيب، ويعرف أنه أصبح لا يلائم حاله بعد أن ترك النساء وتركنه، وأنه إذا كان يوافق أغراض نفسه فى أيام لهوه، ويتلاءم معها فى شعره، فقد صار إلى أغراض جديدة ليست فى شىء من ذلك اللهو، ولا تتلاءم مع التشبيب فى الشعر كما كانت تتلاءم تلك الاغراض القديمة معه، لانها كانت كلها فى لهوه وما إليه من أمور نفسه، فامرؤ القيس عندنا فى تقديمه التشبيب فى هذا العهد أمام المدح وغيره من أغراضه فيه مثله فى ذلك مثل غيره من الشعراء الذين أتوا بعده، وجروا على تقديم التشبيب فى الشعر أمام أغراضهم، ولو لم يكن لتلك الاغراض ارتباط به، أو تجتمع على الاقل معه فيما يعنى به الشاعر فى حياته

وهذه هى الاغراض التى تناولها امرؤ القيس فى شعره وتأثر فيها بحاله فى ذلك العهد بعد قتل أبيه:

(١) الرثاء: وقد قاله فى رثاء أبيه وقتلى قومه ، ولم يرد الينا منه إلا نذر لايدل على بلوغه الاجادة فيه ، وقد رثى قبله خاله مهلهل أخاه كليبا بما لم يرث هو أباه بمثله فى جودته وكثرته ، وسبب ذلك أن امرأ القيس لم يحزن على أبيه حزن خاله مهلهل علي أخيه ، لما كان من طرد أبيه له فيما يرويه الرواة على اضطرابهم فى أمره ، وهو يدل مهما كان سببه علي أنه كان فى حياته منافرا لابيه . وقد قال حينما بلغه قتله (ضيعنى صغيرا وحملنى دمه كبيرا) وهذا يدل على أنه لم يبلغ حزنه عليه ماينسيه طرده له ، وأنه لم يكن يدفعه فى طلب ثأره الحزن عليه ، وإنما كان يدفعه طلب الملك ، والعار الذى كان يلحق عند العرب من ينام عن الثار

(٢) المدح : وكان يقوله مكافأة على صنيع يصنع معه فى مطالبته بثأره ولكنه لم يبلغ فى إجادته مبلغ الشعراء الذين أتوا بعده ، وافتنوا فيه افتنانا لم يلحقهم فيه ، ولم يكن مدح الناس من شان ابن ملك مثله ، وإنما هى الضرورة التى ألجأته إليه ، فلم يوافق طبعه ، ولم يبلغ فيه مابلغه فى غيره

(٣) الهجاء : وكان يقول أيضا فيما كان يعنى به من ثأر أبيه ، ولا يقوله فى مثل ما كان يقوله فيه من أتى بعده وتكسب به ، ولم يكن يقذع إلا قليلا فيه ، فحافظ فى ذلك على مايليق بابن ملك وطالب ملك مثله ، وكان فيه خيرا منه فى تشبيبه فى أيام لهوه ، وذلك يرجع الى غفلته فى شبابه وعمايته فيه ، وتيقظه إلى ما يليق به بعد قتل أبيه ، ويدخل في هذا الغرض ما كان من مناقضات بينه وبين شعراء بني أسد وغيرهم

(٤) الشكوى : وقد أجاد فيها لانه أخذ بقتل أبيه من بين أحضان اللهو ... . واغتصبته الحوادث منها اغتصابا ، فكان يندب أثرة فيه بعد إذ لم من التوفيق فى تلك الحال التى دفع اليها دفعا ما ينسيه حلاوة تلك الايام

بل وجد فيها من غدر الدهر ، وتفرق الاخوان عنه ، وعدم وفاء الناس له ما زاد فى همومه ، و كدر فى حياته ، فشكى فى شعره وأجاد الشكوي فيه ، ولاءم طبعه منها ما كان يلائمه من أغراض الشعر فى أيام لهوه

(٥) الحكمة : وكان يلم بها إلماما فى شعره ، و يدفعه إليها مايلاقيه فى دهره ، فتصدر عنه وفيها أثر سخطه على الناس وتجاربه فيهم ، حين اضطرته الايام إليهم ، وكان من قبل ذلك مشتغلا بلهوه عنهم

(٦) الوصف : وقد ذكر منه فى شعره ما يتعلق بحروبه مع بنى أسد ، وأسفاره إلى قيصر وغيره للاستعداء عليهم ، ثم غير هذا من الاوصاف التي أتت فى شعره

(٧) التشبيب : وكان يأتى به فى هذا العهد مشوبا بالالم والبكاء على عهد الشباب، والاجتماع بصواحبه فى غفلة الدهر وصفائه ، وكان يقدمه فى قصائده أمام المدح وغيره من أغراضه فى ذلك العهد ، وهو ما نأخذه عليه فيه

وهو فى هذا العهد أيضا يجمع فى قصائده بين هذه الاغراض ، ولا تكاد تخلص قصيدة منها فيه لغرض واحد من المدح أو الهجاء أو غيرهما ، بل يجمع فيها بين المدح والهجاء ، وبين الشكوى والتشبيب ، وهكذا ، وإذا كانت لقصائده فى عهده الاول وحدة تجمعها لتلاؤم أغراضها وإن اختلفت ، وأنها كانت ترمى إلى غاية واحدة من اللهو الذى كان مشغولا به ، فان قصائده فى هذا العهد لا توجد فيها هذه الوحدة ، لانه أراد أن يجمع فيها بين لهوه القديم وجده الحادث ، واللهو والجد لا يجتمعان ، ولا يصح أن يؤخذ أحدهما وسيلة إلى الآخر ، وهذه هى أشهر قصائده فى هذا العهد

(١) (خليلى مرابى على أم جندب) (٢) (سما لك شوق بعدما كان أقصرا)

(٣) قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان — (٦) (لمن الديار غشيتها بسحام)
(٤) (أرانا موضعين لحتم غيب) — (٧) (ألما على الربع القديم بعسعسا)
(٥) (لعمرك ما بقلبي إلى أهله بحر) — (٨) (تطاول ليلك بالاثمد)
(٩) (أصبحت ودعت الصبا غير أنني)

مختارات من شعره فى جد حياته

قال فى الشكوى والحكم:

أرانا موضعين لحتم غيب — ونسحر (١) بالطعام وبالشراب
عصافير وذبان ودود — وأجرأ من مجلحة (٢) الذئاب
فبعض اللوم عاذلتى فانى — ستكفيني التجارب وانتسابى
إلى عرق الثرى وشجت عروقى — وهذا الموت يسلبنى شبابى
ونفسى سوف يثلبها وجرمى — فيلحقنى وشيكا بالتراب
ألم أنض (٣) المطى بكل خرق — أمق الطول يلماع السراب
وأركب فى اللهام (٤) المجر حتى — أنال مآكل القحم الرغاب
وكل مكارم الاخلاق صارت — إليه همتي وبه اكتسابي
وقد طوفت فى الآفاق حتى — رضيت من الغنيمة بالاياب
أبعد الحارث الملك ابن عمرو — وبعد الخير حجر ذى القباب
أرجى من صروف الدهر لينا — ولم تغفل عن الصم الهضاب
وأعلم أننى عما قليل — سأنشب فى شبا ظفر وناب
كما لاقى أبى حجر وجدى — ولا أنسى قتيلا بالكلاب (٥)

(١) هو من السحر بمعنى نلهو (٢) مأخوذ من جلح عليه بمعنى هجم وصمم
(٣) أهزلها من كثرة العمل (٤) الجيش والمجر الثقيل (٥) هو عمه شرحبيل

وقال فى رثاء أبيه حين بلغه قتله ولم ينم ليلته :

أرقت لبرق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل
أتانى حديث فكذبته بأمر تزعزع منه القلل
بقتل بنى أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل (١)
فأين ربيعة عن ربها وأين تميم وأين الخول
ألا يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما استهل

وقال يرثي إخوته الذين قتلهم المنذر ابن ماء السماء بالحيرة :

ألا ياعين بكى لى شنينا وبكى لى الملوك الذاهبينا
ملوكا من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا
فلم تغسل جماجمهم بغسل ولكن بالدماء مرملينا (٢)
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

وقال يمدح سعد بن الضباب سيد إياد وكان قد لجأ إليه حين طلبه الملك المنذر فأجاره بعد أن لجأ إلي هانيء بن مسعود فأبى أن يجيره وقد تعرض فيه لهجائه:

لعمرك ماقلبي إلى أهله بحر (٣) ولا مقصر يوما فيأتينى بقر (٤)
ألا إنما الدهر ليال وأعصر وليس على شيء قويم بمستمر
ليال بذات الطلح عند محجر أحب الينا من ليال على أقر (٥)
أغادى الصبوح عند هروفرتنا وليدا وهل أفنى شبابى غير هر
إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة مما تجيء به التجر

(١) يطلق على الامر العظيم والهين وهو المراد هنا (٢) ملطخين بالدم
(٣) يريد أنه لا يمكنه ألا يجزع عليهم (٤) بقرار (٥) واد سع

هما نعجتان من نعاج تبالة   لدى جؤذرين أو كبعض دمى (١) هكر
إذ قامتا تضوع المسك منهما   برائحة من اللطيمـــة والقطر
كأن التجار أصعدوا بسبيئة (٢)   من الخص حتى أنزلوها على يسر
فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه   وشجت بماء غير طرق ولا كدر
بماء سحاب زل عن متن صخرة   إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر
لعمرك ما إن ضرنى وسط حمير   وأقوالها (٣) إلا المخيلة والسكر
وغير الشـقاء المستبين فليتنى   أجر لســـانى يوم ذلكم مجر

* * *

لعمرك ما سعد بخلة آثم   ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر
لعمرى لقوم قد نرى فى ديارهم   مرابط للأمهار والعكر الدثر
أحب الينا من أناس بقنة   يروح على آثار شائهم النمر
يفاكهنا سعد ويعدو لجمعنا   بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر
لعمرى لسعد بن الضباب إذا غدا   أحب الينا منك يافرس حمر (٤)
وتعرف فيه من أبيه شمائلا   ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا   ونائل ذا إذ صحا وإذا سكر

وقال يهجو البراجم ويربوعا ودارما ومجاشعا لخذلانهم له ولعمه شرحبيل من قبله

ألا قبح الله البراجم كلها   وجدع يربوعا وعفر دارما
وآثر بالملحاة آل مجاشع   رقاب إماء يقتنين المفارما (٥)

---

(١) جمع دمية وهي الصورة المنقشة من رخام أو نحوه (٢) الخمر التى شتريت فحملت والخص مدينة بالشام اشتهرت بها (٣) ملوكها والمخيلة خيلاء (٤) حمر الفرس تنفوه (٥) الخرق يتضيقن بها لكثرة ما يفعلن بهن

فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم ... ولا آذنوا جارا فيظعن سالما
ولا فعلوا فعل العوير بجاره ... لدى باب هند إذ تجرد قائما

وقال فى مناقضة سبيع بن عوف وكان يمت اليه بقرابة فنزل عليه فلم يعطه فقال أبياتاً يعرض بها فيه فأجابه عليها :

لمن الديار عشيتها بسحام ... فعمايتين فهضب ذى أقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فغاضر ... تمشى النعاج بها مع الآرام
دار لهند والرباب وفرتنا ... ولميس قبل حوادث الايام
عوجا على الطلل المحيل لاننا ... نبكي الديار كما بكى ابن حزام
أو ماترى أظعانهن بواكرا ... كالنخل من شوكان حين صرام
حور تعلل بالعبير جلودها ... بيض الوجوه نواعم الاجسام
فظللت فى دمن الديار كأننى ... نشوان باكره صبوح مدام
أنف (١) كلون دم الغزال معتق ... من خمر عانة أو كروم شبام
وكان شاربها أصاب لسانه ... موم (٢) يخالط جسمه بسقام

وبجدة نسأتها فتكمشت ... رتك (٣) النعامة فى طريق حامى
تخدى على العلات سام رأسها ... روعاء منسمها رثيم (٤) دامى
جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى ... إنى امرؤ صرعى عليك حرام
فجزيت خير جزاء ناقة واحد ... ورجعت سالمة القرا (٥) بسلام
فكأنما بدر (٦) ووصل كنيفة ... وكأنما من عاقل أرمام

---

(١) لم يشرب من دنها أحد قبله (٢) مرض يهذي صاحبه (٣) اهتزاز
(٤) ملطخ بالدم (٥) الظهر (٦) بدر وكنيفة متباعدان وكانهما وصلا بسرعتها

أبلغ سبيعا إن عرضت رسالة ... أني كهمك إن عشوت أحامى
فاقصر إليك من الوعيد فانني ... مما ألاقى لاأشــد حزامى
وأنا المنبه بعد ما قــد نوموا ... وأنا المعالن صفحة النوام
وأنا الذي عرفت معد فضله ... ونشدت عن حجر ابن أم قطام
خالى ابن كبشة قد علمت مكانه ... وأبو يزيد ورهطه أعمامى
وإذا أذيت ببلدة ودعتها ... ولا أقيم بغير دار مقامى
وأنازل البطل الكريه نزاله ... وإذا أناضل لاتطيش سهامى

وقال فى حربه التى ظفر فيها ببنى أسد :

يادار ماوية بالحائل ... فالسهب فالخبتين من عاقل
صم صداها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطق السائل
قولا لدودان عبيد العصا ... ماغركم بالاسد الباسل
قد قرت العينان (١) من مالك ... ومن بنى عمرو ومن كاهل
ومن بنى غنم بن دودان إذ ... نقذف أعلاهم على السافل
نطعنهم سلكى (٢) ومخلوجة ... كرك لأمين (٣) على نابل
إذهن أقساط (٤) كرجل الدبا ... أو كقطا كاظمة الناهل
حتى تركناهم لدى معرك ... أرجلهم كالخشب الشائل
حلت لى الخمر وكنت امرأ ... عن شربها فى شغل شاغل
فاليوم أسقى غيرمستحقب (٥) ... إثما من الله ولا واغل

وقال فيما بينه وبينهم أيضا :

تطاول ليلك بالاثمــد ... ونام الخلى

(١) يريد أنه قرت عيناه من قتله لهم (٢) طعنة مستوية (٣) سهم المريش (٤) فرق (٥) مكتسب

وبات وباتت له ليلة   كليلة ذي العائر (١) الأرمد
وذلك من نبأ جاءني   وخبرته عن أبي الأسود
ولو عن نثا (٢) غيره جاءني   وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول مالا يزا   ل يؤثر عني يد المسند
بأي علاقتنا ترغبون   أعن دم عمرو على مرثد
فإن تدفنوا الداء لانخفه   وإن تبعثوا الحرب لانقعد
وإن تقتلونا نقتلكم   وان تقصدوا لدم نقصد
وأعددت للحرب وثابة   جواد المحثة والمرود (٣)
سبوحا جموحا وإحضارها   كمعمعة السعف الموقد
ومشدودة الشك (٤) موضونة   تضاءل في الطي كالمبرد
تفيض على المرء أردانها   كفيض الأتي (٥) على الجدجد
ومطردا (٦) كرشاء الجرو   ر من خلب النخلة الأجرد
وذا شطب غامضا كلمه   إذا صاب بالعظم لم ينأد

وقال من قصيدته في رحلته إلى قيصر مع صاحبيه عمرو وجابر وهي أطول قصائده في هذا العهد :

سمالك شوق بعدما كان أقصرا   وحلت سليمى بطن ظبي فعرعرا
كنانية بانت وفي الصدر ودها   مجاورة غسان والحي يعمرا
بعيني ظعن الحي لما تحملوا   لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا
فشبهتهم في الآل (٧) لما تكمشوا   حدائق دوم أو سفينا مقيرا

(١) الرمد (٢) النثا ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء (٣) هي حديدة [illegible] في اللجام (٤) ماخوذ من شك القوم بيوتهم إذ جعلوها مصطفة متقاربة ويريد بها درعه (٥) السيل (٦) سوطا ممددا (٧) الآل السراب

أو المكرعات من نخيل ابن يامن　　دوين الصفا اللائى يلين المشقرا
غلقن(١) برهن من حبيب به ادعت　　سليمي فأمسى حبلها قد تبترا
أأسماء أمسى ودها قد تغيرا　　سنبدل إن أبدلت بالود آخرا
ألا هل أتاها والحوادث جمة　　بأن امرأ القيس ابن تملك بيقرا
تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت　　على خملي خوص الركاب وأوجرا
فلما بدا حوران والآل دونه　　نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
تقطع أسباب اللبانة والهوى　　عشية جاوزنا حماة وشيزرا
ولم ينسني ما قد لقيت ظعائنا　　وخملالها كالقر(٢) يوما مخدرا

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة　　ذمول إذا صام النهار وهجرا
بعيدة بين المنكبين كأنما　　ترى عند مجرى الضفر هرا مشجرا(٣)
تطاير ظران الحصى بمناسم　　صلاب العجى (٤)
عليها فتى لم تحمل الارض مثله　　وأوفى واصبر
هو المنزل الآلاف من جو ناعط　　بنى أسد حزنا من الارض أوعر
العز ومن ارض حمير　　ونسميه عمدا إذا الدوم ابهر

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
فقلت له لاتبك عينك إنما　　نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
وإني زعيم إن رجعت مملكا　　بسير ترى منه الفرانق(٥) أزورا

(١) غلق الرهن لزم ويعنى أنهن ذهبن بقلبه (٢) القر الهودج ومخدر التي ألبست ا

(٣) مربوطا يحملها على الاسراع في المشى (٤) جمع عجاية وهي عصبة في باطن يد الناقة ومشوميا خفها (٥) الأ.

على لاحب لايهتدى بمناره إذا سافه العود(١) النباطى جرجرا
لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولابن جريج فى قرى حمص أنكرا
نشيم بروق المزن أين مصابه ولا شىء يشفى منك يا ابنة عفزرا
من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب(٢) منها لأثرا
له الويل إن أمسى ولا ام هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا
أرى أم عمرو دمعها قد تحدرا بكاء على عمرو وما كان أصبرا
إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلة وراء الحساء من مدافع(٣) قيصرا
إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك جدى ماأصاحب صاحبا من الناس إلا خانني وتغيرا
وكنا أناسا قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا
وما جبنت خيلي ولكن تذكرت مرابطها من بر بعيص وميسرا
ألا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا
ولا مثل يوم فى قداران ظلته كأنى وأصحابى على قرن أعفرا
ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا نقادا(٤) وحتى نحسب الجون اشقرا

وقال فى مرضه بأنقرة :

ألما على الربع القديم بعسعسا كأنى أنادى أو أكلم أخرسا
فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلا عندهم ومعرسا
فلا تنكرونى إننى أنا ذاكم ليالى حل الحى غولا فألعسا
فاما ترينى لا أغمض ساعة من الليل إلا أن أكب فأنعسا

(١) الجمل المسن
(٢) هو قميص غير مخيط الجانبين (٣) المواضع التى يحميها ويدافع عنها
(٤) هى صغار الغنم

فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا
ويارب يوم قد أروح مرجلا حبيبا إلي البيض الكواعب أملسا
أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا
وما خلت تبريح الحياة كما أرى تضيق ذراعى أن أقوم فألبسا
فلو أنها نفس تموت جميعة (١) ولكنها نفسا تساقط (٢) أنفسا
بدلت قرحا داميا بعد صحة فيالك من نعمى تحولن أبؤسا
طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا
ألا إن بعد العدم للمرء قنوة (٣) وبعد المشيب طول عمر وملبسا

منزلة امرىء القيس فى الشعر

(١) محاسنه عندهم

فى أغراضه : إذا نظرنا إلى امرىء القيس فى أغراضه الشعرية نظرة إجمالية نجده قد قصد فيها إلى ما عرفه شعراء عصره منها ، ولم يزد فى أغراض الشعر غرضا جديدا يحسب له ، ولم يخترع فيها ما يسير بالشعر العربى فى مقاصد أخرى ، وأغراض جدية غير تلك الاغراض المبتذلة ، وإذا نظرنا إلى أغراضه نظرة تفصيلية نجدهم يذكرون له فى التشبيب أنه أول من رقق ألفاظه ، وفرق بينه وبين ما سواه فى القصيدة . ويذكرون له فى الوصف أنه أول من أجاد وصف الخيل والنساء ، واستعمل فى ذلك بديع التشبيه ، وجميل الاستعارة ، وكان الشعراء قبله يقولون فى المرأة الحسناء أسيلة الخد ، تامة القامة أوطويلتها ، جيداء أو طويلة العنق ، فقال فى ذلك أسيلة مجرى الدمع،

(١) مجتمعة دفعة واحدة (٢) تخرج شيئا فشيئا من طول المرض
(٣) غنى

بعيدة مهوى القرط ، وكانوا يقولون في الفرس يلحق الغزال ويسبق الظليم فقال : (بمنجرد قيد الاوابد هيكل) وهكذا ، وله في وصف الليل والسحاب والبرق والمطر ونحو ذلك استعمالات حسنة ، وأوصاف كان أول من سبق اليها أيضا

ولم يبرز امرؤ القيس في شعره مثل ما برز في هذين الغرضين ، وكل ما يستحسنونه له من الشعر لا يكاد يخرج عنهما ، وقد أمضى فيهما عهد قوته وشبابه ، ونطق فيهما عما يوافق طبعه ، ويلائم سجيته ، وكان هذا هو سبب تبريزه فيهما

في ألفاظه ومعانيه : تأثر امرؤ القيس في ألفاظه ومعانيه بنشأته في تلك العربية الخالصة ، فلا ترى له إلا قليلا عبارات نازلة ، ثم كان له من بيئته الملكية البدوية وما فيها من سهولة وشدة عاملان مختلفان في ذلك أيضا ، فجاءت ألفاظه جزلة رقيقة في أكثر تشبيبه وما إليه مما كان يتعلق بترفهم ، شديدة غامضة في وصف النوق والخيل والصيد وغير ذلك من أمور بداوتهم

فليس لامرىء القيس مما يستحسنونه له في أغراضه وألفاظه ومعانيه إلا رقة التشبيب ، وإجادة وصف النساء والخيل ، والسحاب والليل ، والمطر والبرق ، وابتداعه في ذلك من المعاني والتشبيهات والاستعارات أشياء استحسنتها العرب ، واتبعه فيها الشعراء ، مثل استيقاف الصحب ، والبكاء على الديار ، وتشبيه النساء بالظباء والمها ، وتشبيه الخيل بالعقبان والعصى ، إلى غير ذلك مما قالوا إنه جدده في الشعر وأساليبه

قال خلف الاحمر : لم أر بيتا أفاد وأجاد وساد وزاد وقاد وعاد ولا أفضل من قول امرىء القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

فقدشبه أربعة أشياءبأربعة أشياء معإحسانه فىذلكوهذا كله فىبيتواحد

وقال بشار بن برد: لم أزل أحسد امرأ القيس على قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدىوكرهاالعناب والحشف البالى

حتى قلت :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

ولكن امرأ القيس قد سبق إلى صحة التقسيم فى التشبيه ، ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالاخرى ، دون صحة التقسيم والتفصيل

ومن أحسن ما وصف به امرؤ القيس الفرس قوله :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فابتدع فى وصفه هذا الوصف (قيد الاوابد) وعنى بذلك أنه إذا أرسله على الصيد صار قيدا له من شدة عدوه ، وهو من التشبيه البليغ أو الكناية ، وقد اقتدى الناس والشعراء به فيه ، فقالوا (قيد النواظر . قيد الالحاظ . قيد الكلام . قيد الحديث . قيد الرهان)

وذكر ابن قتيبة أن أشرافا من الناس والشعراء اجتمعوا عند عبد الملك فسألهم عن أرق بيت قالته العرب ، فاجتمعوا على قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك فى أعشار قلب مقتل

وقال الحطيئة امرؤ القيس أشعر الناس حيث يقول :

فيالك من ليــل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وقيل للفرزدق من أشعر الناس فقال ذو القروح حيث يقول :

وقاهم جــدهم ببنى أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وكان بنو أسد قد لحقوا ببنى كنانة فقصدهم امرؤ القيس فقاتلت كنانة دونهم حتي فروا ولم يظفر بهم ، ويعنى بالاشقين بنى كنانة وما زائدة فى

الاثبات علي لغة أهل بيئته

واستحسنوا له أيضا قوله فى المدح :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا　　ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحـــة ذا وبر ذا ووفاء ذا　　ونائل ذا إذا صحا وإذا ســـكر

جمع فى بيت واحد ماأفاده عنترة فى بيتين :

فاذا شربت فاننى مستهلك　　مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذاصحوت فماأقصرعن ندى　　وكما علمت شمائلى وتكرمى

وهو أحسن من قول طرفة :

أســـد غيل فاذا ماشربوا　　وهبوا كل أمون وطمر

لانه جعل سخاءهم فى هذا الوقت الذى تذهل فيـه عقولهم ، دون غيره من أوقات صحوهم

ومما اخترعه من التشبيه الوهمى قوله :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعي　　ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ومما اخترعه من النوع المعروف بالتتبع قوله :

و يضحى فتيت المسك فوق فراشها　　نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقوله

أمرخ (١) خيامهم أم عشر　　أم القلب فى أثرهم منحدر

ومما اخترعه من النوع المعروف بالايغال قوله

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه　　تقول هزيز الريح مرت بأثاب

وقال فى عرفان الاطلال بشغفه اليها :

لمن طلل دارس آيه　　أضر به سالف الأحرس

---

(١) المرخ نبات بنجد والعشر بالغور فكنى بالنباتين عن الموضعين

تنكره العين من جانب ويعرفه شغف الانفس

وقد قلده فيه الحارث بن خالد المخزومى فقال :

لو بدلت أعلى منـازلها سفلا وأصبح سفلها يعلو

لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لاهلها قبل

فقال ابن سلام : جعل سفلها علوا مابقى إلا أن يسأل الله لهـا حجارة من سجيل

ولامرىء القيس أبيات كثيرة جرت مجرى المثل كقوله :

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقوله:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه بخزان

ومطالعه أيضا عندهم أحسن مطالع عصره ، مثل مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فقد وقف فيه واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واستوجع ، وأتى بكل هـــذا فى بيت واحد ، ثم إن ابتداءه بطلب الوقوف من أحسن مايبتدأ الكلام به ، لمناسبته له ، ودلالته على أن هناك شيئا مهما يراد الشروع فيه ، ويطلب الوقوف من أجله ، وقد جارى امرأ القيس فى هذا المطلع كل من أتى بعده ، فابتدأ به شعره أوحام فيه حوله

ومن مطالعه المبتكرة أيضا قوله:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وقد حاذى القطامى هـذا المطلع ، فعد مطلعه أحسن مطالع الشعراء الإسلاميين ، وذلك إذ يقول :

إنا محيوك فاسلم أيهـا الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

وهذا ونحوه هو الذى قدم به جمهور علماء الادب امرأ القيس على غيره، وجعلوه به زعيم شعراء عصره ، وقد رووا أن العباس سأل عمر رضى الله عنهما عن الشعراء فقال : امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر ، يريد أن امرأ القيس من اليمن ، وأن أهلها ليست لهم فصاحة نزار ، فكأن ألفاظهم ومعانيهم عور ، فجاء امرؤ القيس ففتق عنها ، وجعلها أصح من غيرها ، ويعنى بذلك تلك المعانى والتشبيهات التى ابتكرها ، وقلده الشعراء فيها ، وابتكار مثل هذه المعانى لا يقتصر على امرىء القيس وحده ، ولا يزال الشعراء يبتكرون فى الشعر ما هو أهم مما ابتكره امرؤ القيس فى شعره

(٢) مآخذه عندهم

فى أغراضه : لم نجد لهم مأخذاً على امرىء القيس يتعلق بأغراضه إلا تعهيره فى تشبيبه ، وتجاوزه حدود العفة والاخلاق فيه ، مثل قوله فى معلقته

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذى تمائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له   بشق وتحتى شقها لم يحول

فهذا فحش بالغ لا يليق ذكره فى الشعر ، ولا تبيحه الاخلاق والمروءة ، وقد قيل إنه يجوز أن يكون هذان البيتان مما حمل عليه من شعر صعاليكه ، ولكنه لا يوجد ما يدل على أنهما من شعرهم إلا شدة قبحهما ، ولا شك أن امرأ القيس حين عاشرهم ، وطال اختلاطه بهم ، تأثر ببيئتهم ، وذهب فى أموره مذهبهم ، فلا يبعد عليه أن يقول هذا الفحش وأقبح منه ، إذا كان يوجد ما هو أقبح منه

وقد حام امرؤ القيس حول هذا المعني فى قصيدة له أخرى يقول فيها :

أصبحت ودعت الصبا غير أنني ... أراقب خلات من العيش أربعاً
فمنهن قولى للنـــدامى ترفقوا ... يداجون نشاجا من الخمر مترعا
ومنهنّ سوف الخود قد بلها الندي ... تراقب منظوم التمائم مرضعا
يعز عليهـــا ريبتى ويسوءها ... بكاه فتثنى الجيد أن يتضوعا

وهو فى هذا وغيره يكثر من ذكر قصده الحبليات والمراضع ، ليفيد شدة شغف النساء به ، وأنه كان مطلوبهن ومعشوقهن ، حتى كن يؤثرنه على أولادهن ، ومثل هـذا قد أخذ على ابن أبى ربيعة بعده ، فقالوا إنه كان فى تشبيبه بالنساء يشبب بنفسه ، فيذهب ذلك بجمال تشبيبه ، والنفس إنما تهش للتشبيب لتعلقه بالنساء ، ولا تستحسنه إذا تعلق بالرجال ، فأصبحوا فيـه مطلوب النساء ، ولم يصبح النساء فيـه مطلوبهم ، وامرؤ القيس هو الاحق بأن يؤخذ بهذا قبله ، لانه هو الذى سنه له ، وسبقه اليه ، ثم إن ذلك الشغف بهذا الصنف من النساء لا يتحدث به فى كل موطن شاعر كريم عن نفسه ، لان النفس العاليـــة تستقذره ، وتطلب أبكار النساء ، وتترك الحبليات والمراضع استقذاراً لهن ، ولان فيـه من خيانة أزواجهن ما يربأ بالشاعر الكريم أن يصم به نفسه ومن يعشقهن ، وليس فى حب الابكار من الريبة وإرادة الفحش ما فى حب الثيبات والمراضع والحبليات

وقد قيل (١) فى الاعتذار عن تعبير امرىء القيس فى تشبيبه إن كل المعانى الشعرية معرضة للشاعر ، فله أن يتكلم فيما يحب منها لا فيما يحبه سواه وأيد هذا بما قاله قدامة فى كتابه نقد الشعر (والذى يلزم الشاعر فقط أنه إذا شعر فى أى معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح والذم وغير ذلك من المعانى الحميدة أو الذميمة التى يمليها على الشعر

(١) كتاب أمير الشعر فى العصر القديم ص ١٨٨ طبع مطبعة العلوم

وجدانه ويوحيها إليه شيطانه أن يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك إلى الغاية المطلوبة) فليس تعبير امريء القيس مما يذهب بحسن شعره وجودته ويغطي على بلاغته وجزالته. ولا يخفى أنه لو صح هذا كله لجاز على قياسه أن يقال إن كل الاشياء فى الدنيا معرضة للانسان فله أن يتناول منها ما يحبه لا ما يحبه سواه، لا يقيده فى ذلك دين ولا خلق، وهذا قطعا غير صحيح، ولا يقول به عاقل، فكذلك الشاعر يجب أن يقيد فى تلك المعانى الشعرية المعرضة له، وألا تباح له على اطلاقها، والذى يقوله قدامة من ذلك يجرى فيه على مذهبهم فى الشعر أنه الفاظ ومعان وأخيلة، وليس لنبل غرضه وسمو غايته وزن فيه عندهم، ولكن مذهب قدامة فى ذلك أخف من مذهبهم فى وقف جودة الشعر على المعانى الذميمة الداخلة فى باب الشر، إذ لا يقوى الشعر عندهم إلا فيها وفيه، دون باب الخير ومعانيه، فهو يرى أن توخى الجودة اللفظية إلى الغاية المطلوبة ممكن فى البابين، مستطاع فى المعانى الحميدة والذميمة معا فى ألفاظه ومعانيه: وكما استحسنوا لامرىء القيس فى الفاظ الشعر

ومعانيه تلك المعانى التى قالوا إنه ابتدعها فيه، أخذوا عليه معانى كثيرة، واستهجنوه فى أشياء سقطت فى شعره، وعدوا عليه ما وقع فيه من جفاء فى العبارة، ووعورة فى الالفاظ، وتجهم فى المعاني، وخشونة فى التشبيه، وما الى ذلك مما تأثر فيه ببعض بداوته

وقال عبد الله بن المعتز: عيب على امريء القيس قوله فى معلقته:

أغرك منى أن حبك قاتلى   وأنك مهما تأمري القلب يفعل

فاذا لم يغرها هـذا فأى شيء يغرها ؛ وإنما هذا كأسير قال لمن أسره (أغرك منى أنى فى يديك) وقد تكلف بعضهم الجواب عن هذا بان الاستفهام ليس على حقيقته، وإنما هو استفهام تقريرى، ومعنى البيت (لقد غرك منى أن حبك قاتلي) فهو نوع من شكوى العشاق ولا شيء فيه ؛ ولكن هذا لا يكون

من الشكوى فى شىء ، وإنما هو أسلوب من أساليب التوبيخ التى لاتليق فى العشق ، ولاتحسن فى الصبابة

وقال رؤبة مارأيت أفخر من قول امرىء القيس

فلو أنما أسعى لادنى معيشة كفانى ولم اطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

ولا أنذل من قوله فى قصيدته (ألا إلا تكن إبل فمعزى)

لنا غنم نسوقها غزار كأن قرون جلتها العصى
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع ورى

قال احمد بن عبيد الله بن عمار: إنه قول أعرابى متلفع فى شملته ، لاتجاوز همته ماحوته خيمته

وعاب عليه أبو سعيد محمد بن هبيرة قوله فى ناقته :

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذوبرد منهمر

فقال : هذا ردىء مالها وللسوط

ومثل هذا عابته عليه امرأته أم جندب فى وصف فرسه :

فللسوط ألهوب(١) وللساق درة(٢) وللزجر منه وقع أخرج (٣) مهذب

وعيب عليه أيضا قوله :

وعين لها حدرة(٤) بدرة فشقت مآ فيهما من أخر

فوحد العين ثم رد اليه ضمير الاثنين . وقد أجاز ذلك أبو عمرو فلا يكو فيه عيب عليه

ومن خشونة تشبيهه فى شعره يصف بنان حبيبته :

---

(١) شدة جرى (٢) يريد أنه يدر جريه به (٣) ظليم شديد العدو
(٤) مكتنزة ممتلئة

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

ومنها فى وصف شعرها :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

ومن وعورة ألفاظه واستكراهها وغرابتها قوله :

رب خطبة مسحنفره (١) وطعنة مثعنجره (٢)

وجفنة متحيره (٣) تبقى غداً بأنقره

تكراره فى ألفاظه ومعانيه : ومما يؤخذ على امرىء القيس أيضاً أنه كان يكرر المعانى بألفاظها فى قصائده ، ويكثر فى ذلك إكثاراً يعد عليه ، ويدل على قلة تصرفه ، وكان البحترى يفضل الفرزدق على جرير لأنه يتصرف من المعانى فيما لا يتصرف فيه جرير ، ويورد منها فى شعره فى كل قصيدة خلاف مايورده فى الاخرى ، وجرير يكرر فى هجائه ذكر الزبير ، وجعثن ، والنوار وأنه قين مجاشع ، ولا يذكر شيئا غير هذا ، وما يفعله امرؤ القيس من ذلك فى قصائده أكثر مما كان يفعله جرير منه فى شعره ، وأظهر عيباً منه ، وهذه أمثلة مما كان يكرره :

(١) قال فى وصف الفرس من قصائد له :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقد أغتدى والطير فى وكناتها وماء الندى يجرى على كل مذنب

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيض (٤)

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيص (٥)

وقد أغتدى والطير فى وكناتها لغيث من الوسمى رائده خالى (٦)

---

(١) لم يتوقف فيها صاحبها (٢) سائل دمها (٣) ممتلئة (٤) سريع

(٥) نشيط (٦) منفرد لخوف الناس منه

وقد أغتدى قبل الشروع بسابح ... أقب كيعفور الفلاة محنب
وقد أغتدى ومعى القانصان ... وكل بمرباة مقتفر (١)
وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل ... شديد مشك الجنب فعم المنطق

(٢) وقال أيضاً فى انتقاله إلى وصف ناقته :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ... ذمول إذا صام النهار وهجرا
فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ... مداخلة صم العظام أصوص

(٣) وقال أيضاً فى تشبيبه :

ألا رب يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل
ألا رب يوم صالح قد شهدته ... بناذف ذات التل من فوق طرطرا

٭٭٭

إذا قامتا تضوع المسك منهما ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
إذا قامتا تضوع المسك منهما ... برائحة من اللطيمة والقطر

(٤) وقال فى وصف الاودية :

وواد كجوف العير قفر قطعته ... به الذئب يعوى كالخليع المعيل
وواد كجوف العير قفر مضلة ... قطعت بسام ساهم الوجه حسان

(٥) وقال فى وصف المطر :

وأضحى يسح الماء حول كتيفة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل
فأضحى يسح الماء عن كل فيقة ... يحور الضباب من صفاصف (٢) بيضر

(٦) وقال يفتخر بشجاعته ونجدته :

فيارب مكروب كررت وراءه ... وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا
فيارب مكروب كررت وراءه ... وعان فككت الغل عنه ففدانى

---

(١) متبع آثارها (٢) فلوات عارية من النبات

(٧) وقال فى مطالع قصائده :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوا بين الدخول فحومل
قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم خلت آياته منذ أزمان

***

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
ألا عم صباحا أيها الربع فانطق وحدث حديث الركب إن شئت فاصدق

سرقاته : كان امرؤ القيس يهجم كثيرا على شعر غيره فيأخذ منه الفاظه أو معانيه ، وأكثر ماكان يفعل ذلك مع أبى دواد الايادى وعبيد بن الابرص وهذه أمثلة مما أخذه فى شعره بلفظه أو معناه من شعر غيره :

ا : قال عبيد :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن سلكن غميرا دونهن غموض

فأخذه امرؤ القيس فى قوله :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن سلكن ضحيا بين حزمى شعبعب

ب : وقال عبيد :

وبيت عذارى يرتمين بخدرة دخلت وفيه عانس ومريض

فأخذه امرؤ القيس فى قوله :

وبيت عذارى يوم دجن ولجته يطفن بجباء المرافق مكسال

ج : وقال عبيد قصيدته :

عيناك دمعهما سروب كأن شأنيهما شعيب

فقلده امرؤ القيس فيها وأخذ كثيرا من ألفاظها ومعانيها فى قصيدته :

عيناك دمعهما سجال كأن شأنيهما أوشال

وقال أبو دواد :

ولقد أغتدى يدافع ركنى   أحوذى ذوميعة إضريج
مخلط مزيل مكر مفر   منفح مطرح سبوح خروج

فأخذه امرؤ القيس فى قوله :

وقدأغتدىوالطيرفىوكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معـا   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقال أبو دواد :

والدهر يلعب بالفتى   والدهر أروغ من ثعالة

فأخذه امرؤ القيس فى قوله :

ألم أخبرك أن الدهر غول   ختور العهد يلتهم الرجالا

فهذه جملة ما آخذهم على امرىء القيس ، وهي لا تقتضى تأخيره فى الاطلاق عن غيره ، كما لا تقتضى محاسنه عندهم تقديمه على شعراء عصره ، وما من شاعر إلا وله محاسن تعدله فى شعره ، وعيوب تؤخذ عليه فيه ، فلا يصح أن تغطى حسناته الشعرية على سيئاته ، ولا أن تغطى سيئاته على حسناته ، والشاعر إنما يوزن بامور أعم من ذلك وأهم منه ، وهى أمور تتعلق به من جميع نواحيه ، وتنظر إلى شعره نظرة عامة ، أما تلك الامور التي تتعلق ببعض نواحيه فهى أمور ثانوية ، لا ينظر اليها إلا بعد تلك النظرة العامة

عدى بن زيد

هو عدى بن زيد بن حماد (١) بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، فهو تميمي مضرى ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ويلقب العبادى نسبة إلى العباد من سكان الحيرة ، وأمه نعمة بنت ثعلبة العدوية

وكان عدى نصرانيا وكذلك كان أبوه وأمه وأهله ، وقد تنصروا بالحيرة بعد انتقالهم إليها من البادية ، وكان عدى من دعاة النصرانية ، ويذكر بعض مؤرخى العرب أنه نصر النعمان بن المنذر فترهب ولبس المسوح وترك ملكه وخرج سائحا على وجهه فلا يدرى ما كانت حاله؟ ويذكر مؤرخو الروم أن الذي نصره الجاثليق صبر يشوع ، ويمكن كما قيل أن يكون عديا هو الذى رغبه فى النصرانية ، والجاثليق هو الذى عمده ، ولكن النعمان بن المنذر لم ينته ملكه بهذا الشكل ، وإنما انتهى بعزل كسرى له وحبسه بخانقين إلى أن مات بها ، وقد ضرب عدى فى بعض شعره للنعمان بن المنذر المثل بهذا الملك المتنصر ، وسيأتى ذلك فيما نختاره من شعره ، فلا بد ان هذا الملك المتنصر كان غيره ، وقد قيل إنه النعمان بن امرىء القيس ، ولكن عديا لم يدركه فلا يكون هو الذى نصره ، واختار بعضهم أنه النعمان الثالث بن الاسود ، وقد يكون نعماناً غير هؤلاء الملوك من أسرة المناذرة وممن لم يكن له ملك فيهم

ولم تكن نصرانية عدى بحيث تمنعه من مشاركة جمهور العرب فى تعظيم مكة ، واحترام الكعبة ، وحلفه فى شعره بذلك مع حلفه بالصليب وغيره مما يحلف به فى النصرانية ، كما يقول فى بعض شعره :

(١) ويروى حمار وحماد

سعى الأعداء لا يألون شراً   عليك ورب مكة والصليب

وقد يكون هذا لأن نصرانيته ونصرانية غيره من العرب فى ذلك العهد لم تكن نصرانية خالصة ، وقد يكون النصارى قبل الاسلام لم يكن فى دينهم ما يمنعهم من تعظيم الكعبة ، لأنها من بناء اسماعيل وإبرهيم عليهما السلام (١)

ولا بد قبل درس حياة عدى من درس بيئته المكانية بالحيرة ، وبيئته القومية فى أسرته بها ، لأن درسهما لازم لمن يريد أن يدرس حياته ، ويعرف العوامل التى كان لها أثرها فى تكوينه .

الحيرة

تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية فى حدود العراق من البادية ، بينها وبين الكوفة ثلاثة أميال ، وكانت عاصمة المناذرة ملوك العراق ، وكان للفرس شىء من السيادة عليهم ، فلم تكن للعرب وحدهم ، بل كان فيها سكان من شعوب كثيرة يقصدونها للتجارة أو نحوها مما تقصد المدن الكبيرة لاجله ، وقد قسم سكانها ثلاثة أقسام (التنوخيون والعباد والاحلاف) فالتنوخيون هم العرب الذين وفدوا اليها من اليمن مع مالك بن فهم وجذيمة الابرش ، وكانت أم عمرو بن عدى اللخمى مؤسس دولة المناذرة أخت جذيمة ، وقبيلته لخم تدخل فى أولئك العرب التنوخيين ، لأن هذا الاسم (تنوخ) أطلق عليهم بعد إقامتهم فى الحيرة مع اختلاف قبائلهم ، فاشتق لهم من تنخ بالمكان تنوخا إذا أقام به ، وجمعتهم فيه هذه النسبة المكانية وإن كانوا من قبائل متفرقة

(١) هذا ما اختاره القس لويس شيخو فى كتابه (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) ص ١١٨ طبعة الآباء اليسوعيين .

والعباد نصارى الحيرة من العرب أيضا وكانوا من قبائل مختلفة مثل التنوخيين ، وقد اجتمعوا على النصرانية فى الحيرة ، وكان لهم شأن فى تاريخ العراق قبل الاسلام وبعده ، وكانوا نسطوريين فى نصرانيتهم مثل نصارى الشرق من الفرس وغيرهم ، وكان لهم فى الحيرة بيعة كبيرة تولاها عدة أساقفة منهم ، وزاد شأنها ارتفاعا بعد تنصر المناذرة قبيل الاسلام

والاحلاف سكان الحيرة من غير العرب ، وكانوا من شعوب مختلفة مثل الفرس والروم وغيرهم

وكانت الحيرة أما لقرى مخصبة تتواتر من العراق إلى الشام ، فأدى ذلك إلى اتساع عمرانها ، وعظم مبانيها ، حتى قيل إنها سميت الحيرة من الحوار وهو البياض ، لبياض أبنيتها ، وكان للملوك المناذرة ووجوه دولتهم فيها كثير من القصور العجيبة ، والمنازل الجميلة ، ومن أعظمها قصرا الخورنق والسدير اللذان تغنى بعظمتهما شعراء العرب ، وكان الخورنق على ربوة مرتفعة تتسلط على الحيرة وتقع فى شرقيها على ميل منها ، هذا إلى ما كان فيها من بيع النصاري وديورهم ومدارسهم ، وكذا مدارس الفرس وغيرهم ، وحوانيت التجارة ، ودور الصناعة ، وحانات الخمور ، وغير ذلك من مظاهر الحضارة ، فى جدها وهزلها ، وصحيحها وفاسدها ، وقد طارت بذلك شهرتها بين العرب ، وتغنوا بذكرها ، وطيب سكناها ، وصحة هوائها ، حتى قالوا : يوم وليلة فى الحيرة خير من دواء سنة ، وقال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق أثباج الركاب
حضرنا فى نواحيها قصورا مشرفة كأضراس الكلاب

وقد تأثرت العربية فى الحيرة بهذه الحضارة المتأثرة بتلك العوامل المختلفة ، ودخل فيها كثير من ألفاظ الفرس والروم والكلدان وغيرهم ، واختلط

فيها أبناء العرب بأبناء تلك الشعوب ، فعرف كثير منهم لغاتها، ودرس آدابها ونظر فى علومها ، واستفاد كثيرا من ذلك فى لغته العربية وآدابها ، ولم يكن شأنه فيه شأن الاديب البدوى الذى لم يعرف شيئا منه ، ولم تعمل الحضارة عملها فى تهذيب عقله ، وترقية فكره ووجدانه

آل عدى بالحيرة

كان أهل الحيرة ينقسمون إلى أسر مختلفة بعضها عربى وبعضها غير عربى ، وبعضها من الاسر الكبيرة المعروفة فى المدينة ، وبعضها دون ذلك وبعضها يشتغل بالعلم والكتابة ، وبعضها يشتغل بالتجارة والصناعة وغير ذلك ، وكانت هذه الاسر تعيش فى ظل دولة المناذرة آمنة مطمئنة متعاونة متآزرة ناهضة بأعمالها ، معتمدة عليها فى معيشتها ، لا تعول فيها على ما يعول عليه أهل البادية من السلب والنهب ، باغارة بعضهم على بعض

وكان أول من نزل بالحيرة من آل عدى جده أيوب بن محروف ، أصاب دما فى قومه باليمامة وكان منزله فيها ، فهرب منها الى الحيرة ، ولحق فيها بأوس ابن قلام أحد بنى الحارث بن كعب ، وكان بينهما نسب من قبل النساء ، فأكرمه وأنزله فى داره ، ولم يزل أيوب معه إلى أن كبر وخاف أن يموت فلا يعرف ولده من الحق لأيوب مثل ما يعرفه . فطلب اليه أن ينظر أحب مكان فى الحيرة اليه ليقطعه إياه أو يبتاعه له ، وكان لأيوب صديق فى الجانب الشرقى من الحيرة يسمي عصام بن عبدة أحد بنى الحارث بن كعب ، وكان منزل أوس بالجانب الغربي ، فطلب منه أوس أن يسكنه بجوار صديقه عصام ، فابتاع له موضع داره بثلثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليها مائتى أوقية ذهبا ، وأعطاه مائتين من الابل برعاتها وفرسا وقينة ، فحسن حال أيوب بالحيرة ، واتصل بملوكها فقربوه منهم وعرفوا

لحقه، ووصله منهم أموال وجوائز كثيرة، ولما مات قام ابنه يزيد مقامه، واتصل بملوك الحيرة اتصاله، وقد خرج يوما يريد الصيد فى ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفير ، فانفرد زيد فى الصيد ، وتباعد عن أصحابه ، فلقيه رجل من القوم الذين كان لهم الثأر قبل أبيه ، فعدا عليه فقتله، وترك ابنه حمادا صغيرا ، فقامت أمه بتربيته وعلمته الكتابة ، فكان أول من كتب من بنى أيوب ، وقد خرج من أكتب الناس ، وما زال شأنه يعلو فى الكتابة حتى صار كاتب النعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة ، ثم ولد له ابن فسماه زيدا باسم أبيه ، وعني بتربيته وتعليمه ، وكان له صديق من الدهاقين العظماء يسمي فروخ ماهان ، وكان محبا لحماد محسنا اليه، فلما حضرته الوفاة أوصى بابنه زيد اليه ، فاخذه الدهقان وجعله مع ولده ، وكان قد حذق الكتابة والعربية، فعلمه ذلك الدهقان الفارسية فلقفها ، وكان فهما لبيبا ، فاعجب الدهقان به وأشار على كسرى أن يجعله على البريد فى حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا باولاد المرازبة . فعمل باشارته ، ومكث زيد زمانا يتولى ذلك له، فلما مات النعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة اختلف أهلها فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الامر لرجل ينصبه عليهم ؛ فاشار عليهم الدهقان بزيد ابن حماد ، فتولى أمر الحيرة إلي أن ملك كسرى عليها المنذر بن ماء السماء، فتولي أمرها ، وكان له زيد بمنزلة المشير والوزير ، وكان المنذر لا يعصيه فيما يشير عليه به ، وقد تزوج زيد نعمة بنت ثعلبة العدوية وهى أم ابنه عدى

فآل عدى بالحيرة كانوا أهل ذكاء ونبوغ ، وذوى إقدام وطموح، وقد بلغوا بذلك أعلى منزلة فى الحيرة ، حتى أصبحوا يسامون ملوكها المناذرة، وأصبح المناذرة لا يجدون لانفسهم غنى عن معونتهم ، وسماع نصحهم ومشورتهم والانتفاع بنفوذهم عند كسرى الذي كان بيده عزلهم وتوليتهم

وكان آل عدى يمتازون بفطرة لايكاد يشاركهم فيها غيرهم من العرب وخصوصا أرومتهم المضرية البدوية ، فكانوا يميلون إلى الاخذ بالتعليم ، ويتخذون من الكتابة صناعة يتوصلون بها إلى مآربهم فى بلوغ السلطان والمجد والرفعة ، ولا يجدون غضاضة فى تعلم لغة أخرى غير العربية إذا كان فيها مايساعدهم على بلوغ مآربهم ، وكانت الفطرة العربية فى ذلك الوقت لاتشعر فى نفسها بنقص يحوجها إلى تعلم لغة غير لغتها ، وترى فى الشجاعة والكرم وما إليهما السبيل إلي بلوغ السلطان والمجد والرفعة

حياة عدى

ولد عدى بالحيرة فى تلك الأسرة التي اتخذت صناعة الكتابة وسيلتها فيما تطمح اليه فى دولتى الأكاسرة والمناذرة ، فلما تحرك وأيفع طرحه أبوه فى كتاب العربية ، حتى حذق الكتابة العربية ، وأتقن معرفة أساليبها وفنونها ، وكان الدهقان فروخ ماهان صديق هذه الاسرة العربية لايزال حيا ، وكان له ابن فى سن عدى يسمى شاهان مرد ، فارسل عديا معه إلى كتاب الفارسية فتعلم كتابتها ، والكلام بها ، حتى خرج من أفهم الناس بالفارسية ، وأفصحهم بالعربية . وقد تعلم إلى ذلك كثيرا من آداب الفرس القولية والعملية ، فتعلم الرمى بالنشاب حتى خرج من الاساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة ، إلى غير ذلك من آدابهم ومعارفهم ، وعاداتهم فى معايشهم وتدبير شؤونهم ، وكان يأخذ نفسه مع ذلك بقول الشعر العربى حتى برع فيه ، وخرج كاتبا شاعرا ، وقد حفظ لنا التاريخ كثيرا من شعره ، ولم يحفظ لنا شيئا من كتابته ، ولم يكن أهل هذا العصر يعنون بحفظها كما يعنون بحفظ الشعر ، ولعل عديا كان يكتب بالفارسية أكثر مما يكتب بالعربية

ولعل كتابته العربية تأثرت بالفارسية أكثر من تأثر شعره بها، فأهملها الرواة لذلك ولم يحفظوها لنا، وقد قيل (١) إنه كان له كتاب فى تاريخ الروم أخذ المسعودي عنه

وقد كلم الدهقان كسرى فى عدى فأخبره بان عنده غلاما من العرب أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية، ورغب اليه فى أن يضمه إلى ولده فى ديوان دولته، فأمره أن يرسله إليه، وكان عدى جميل الوجه فائق الحسن، وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه، فلما كلمه وجده اظرف الناس وأحضرهم جوابا، فرغب فيه، وأثبته فى ديوانه مع ولد الدهقان، فكان أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى، ولم يزل بالمدائن مقربا من كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة من أهل مملكته، فعلا بذلك صيته حتى رغب اليه أهل الحيرة ورهبوه، وكان أبوه زيد لا يزال حيا، ولكن ذكر عدى ارتفع عليه وأخمله وكان إذا أراد زيارة أهله بالحيرة استأذن كسري فى ذلك، فاقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر من ذلك وأقل، فاذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد فيقعدوا معه

ثم مات كسرى أنوشروان وملك ابنه هرمز، فأبقى عديا على ما كان فى عهد أبيه، وزاد فى تكريمه وتقريبه منه، حتى إنه لما أراد أن يرسل هدية إلى طيباريوس ملك الروم اختاره علي رأس الوفد الذي سار بها اليه، فلما وصل عدى اليه أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليطلعه علي سعة أرضعه، فأقام مدة بالشام ووصف فى شعره ما أعجبه من مدنها وغيرها، ثم أرسل طيباريوس معه هدية إلى كسرى فقدم بها عليه بالمدائن، وكان أبوه والدهقان الذى رباه قد هلكا بالحيرة أثناء رحلته، فاستأذنه فى الالمام بالحيرة، فسار

(١) تاريخ آدب اللغة العربية للاستاذ جرجي زيدان - ج ٢ ص١٩٥

اليها حتى بلغها ، فتلقاه المنذر ووجوه دولته خارجها ، وأكرموه أكثر من أبيه لما بلغه عند كسرى من تلك المنزلة ، فأقام بينهم وهو أنبلهم فى أنفسهم ولو أرادوا أن يملكوه لملكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، أو كان لايرى أن يعتدى بذلك على المناذرة ، ويقيم به خلافا ونزاعا بين أهل الحيرة ، ومكث على ذلك سنين يبدو فى فصلى السنة ، فيقيم فى حفير ويشتو بالحيرة ، ويأتى المدائن فى خلال ذلك فيخدم كسرى ، وكان لايؤثر على بلاد بنى يربوع مبدى من مبادي العرب ، ولا ينزل فى حى من أحياء تميم غيرهم ، وكان أخلاؤه من العرب كلهم بنى جعفر ، وكانت إبله فى بلاد بنى ضبة وبلاد بنى سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيين بابله

وقد جعل المنذر ابنه النعمان فى بيت عدى ، فهم الذين أرضعوه وربوه ، وجعل ابنه الاسود فى بيت بنى مرينا من أشراف لخم ، فأرضعوه وربوه أيضا ، وكان للمنذر عشرة أولاد غيرهما ، وكان يقال لأولاده الاشاهب من جمالهم ، فلما مات أبوهم ذهبوا إلى كسرى وطلبوا ملكه ، فدخلوا على عدى قبل أن يدخلوا عليه ، فجعل يخلو بهم واحدا واحدا ، ويقول لهم : إذا أدخلتم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها وإذا دعالكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا فى الأكل وصغروا اللقم ونزروا ما تأكلون فاذا قال لكم أتكفوننى العرب ؟ فقولوا نعم ، فاذا قال لكم فاذا شذ أحدكم عن الطاعة وأفسد أتكفوننيه ؟ فقولوا لا إن بعضنا لا يقدر على بعض ليهابكم ولا يطمع فى تفرقكم ويعلم أن للعرب منعة وبأسا

ثم خلا بالنعمان فقال له : البس ثياب السفر وادخل متقلدا بسيفك وإذا جلست للاكل فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد فى الاكل وتجوع قبل ذلك ، فان كسرى يعجبه كثرة الاكل من العرب خاصة ، ويرى أنه لاخير

فى العربى إذا لم يكن أكولا شرها ، وإذا سألك هل تكفيني العرب ؟ فقل نعم ، فاذا قال لك فمن لى باخوتك ؟ فقل له إن عجزت عنهم فاني عن غيرهم لأعجز

فدخلوا على كسرى والنعمان على حاله التي أوصاه بها عدى ، وإخوته على حالهم التى أوصاهم بها ؛ وقد حذر عدى بن مرينا الاسود من موافقة عدى فى ذلك ، فقال له إنه لم يألنى نصحا وهو اعلم بكسرى منك وإن خالفته أوحشته وأفسد على ، فلما رآهم كسرى أعجبه جمالهم وكمالهم ، ورأى رجالا قلما رأى مثلهم ، ثم دعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدى ، فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ، فاعجبه أمره ، وملكه دونهم ، وألبسه تاجا قيمته ستون الف درهم ، وقد تكون تولية النعمان بن المنذر بمساعدة عدى له ، ولكن بغير هذه الحيلة المكشوفة ، فى هذه القصة المخترعة ، ومما يقدح فى صحتها أن الذى ملك بعد المنذر ابنه عمرو بن هند لا ابنه النعمان كما توهمه تلك القصة

وقد عظم بذلك شأن عدى فى دولة النعمان بن المنذر ، حتى أصهر إلى النعمان فى ابنته هند ، فتزوجها عدي بعد أن رآها ورأته ، فشغف كل منهما حبا بصاحبه ، وقيل إنها كانت أخت النعمان لا ابنته ولعل هذا هو الأقرب فيها

وكان عدى بن مرينا يحقد على عدى هذه المكانة عند النعمان ، فما زال يدس له عنده حتى ذكر للنعمان أنه يقول عنه إنه عامله ، وإنه هو ولاه ماولاه ، ثم كتب هو وأعوانه كتابا على لسان عدى إلى قهرمان له ، ثم دسوا اليه فأخذوا الكتاب منه ، وأطلعوا النعمان عليه ، فقرأه فاشتد غضبه على عدى ، فأرسل اليه أن يزوره وكان بالمدائن عند كسرى ، فسار اليه حتى أتاه فلم ينظر اليه حتي حبسه فى محبس لايدخل عليه فيه أحد ، فجعل يقول الشعر وهو فى الحبس يستعطف به النعمان ، ويتنصل مما رمى به عنده ، ويعتذر فيه اليه منه ، ثم يكتب به اليه فلا يغنى عنده شيئا ، فلما طال سجنه

كتب إلى أخيه أبي بن زيد وهو مع كسري يخبره بأمره ، فأخبر كسرى به ، فكتب إلى النعمان يأمره باطلاقه ، وكان للنعمان خليفة (سفير) عند كسرى يقيم بالمدائن ، ويكتب إلى النعمان بما يهمه من أمره عند الأكاسرة ، فكتب اليه بأمر كسرى باطلاق عدى ، فلما علم النعمان بذلك أمر بقتله فى سجنه ، ثم أخبر رسول كسري حين جاء اليه بموته ، وأرضاه بجزيل عطائه ، حتى لا يخبر كسري إلا بأنه قدمات قبل أن يقدم عليه ، وكان قتل عدى حوالى سنة ٥٨٧ م

فاذا أردنا أن نستخلص من هذه الحياة القيمة لعدى العوامل التى يكون لها تأثير فى شعره وأدبه أمكننا أن نستخلص منها هذه العوامل :

(١) أنه كان له دين يزعه عن ما تم ذلك العهد الجاهلي

(٢) أنه نشأ فى بيئة ثقافة وحضارة ، وتربى أحسن تربية بين أبناء عظماء العرب والفرس

(٣) أنه عاشر ملوك الفرس والعرب . واشتغل بتدبير أمورهم ، وسياسة دولهم ، فحنكته تجاربها ، وراضته ممارسة شؤونها ومعضلاتها

(٤) أنه كان يأخذ لنفسه حظها من لهو الحياة من غير أن يسرف فيه ، أو يرتكب ما يخل بشرفه . فاشتغل بالصيد ، وشارك فى مجالس الخمر ، ولم

يكن عليه حرج منها فى دينه ، واحب هندا اخت النعمان

وطلبها من أخيها زوجا له فلم يبخل عليه بها ، فأحبها فى عفة ، وأرادها لهذا الغرض الشريف

لغة عدي وشعره

قد يبدو لظاهر الرأى أن عديا من شعراء مضر ومن أهل الشمال ، وأن لغة شعره مضريه شمالية ، فلا يمكن أن يطعن على شعره من جهتها ، كما يطعن على شاعر من أهل الجنوب لغة شعره مضرية مثل لغة أهل الشمال ، ولكن هل كانت لغة أهل الحيرة عربية خالصة مثل لغة أهل البادية والعرب الخلص فى قلب الجزيرة ؟ وكيف يمكن ذلك مع اختلاط أهلها من العرب بأهلها من الفرس والروم والكلدان وغيرهم من الشعوب الأعجمية التى كانت تشارك العرب فى سكنى تلك المدينة ، وكان لها فيهم من النفوذ الدينى والسياسى ما لا تسلم معه لغتهم من تأثر به ، وقد اختلط العرب بعد الاسلام بغيرهم من تلك الشعوب ، وكانوا أصحاب السلطان والنفوذ فيها ، ومع ذلك تأثرت لغتهم بلغاتها ، وظهر أثر ذلك فيها من نواح كثيرة

على أن تأثر عربية الحيرة بذلك إذا كان هو المعقول من الناحية النظرية ، فانه يوجد معها أيضا نصوص نقلية تثبت تأثر عربية الحيرة بهذه المؤثرات أيضاً ، قال أبو عمرو بن العلاء : عدى بن زيد فى الشعراء مثل الشعرى فى النجوم تعارضها ولا تجرى معها ، قال أبو عبيدة يعنى أنه يشبه بها ويقعد به عن شأوها ألفاظه الحيرية وأنها ليست بنجدية ، وقال الاصمعى : عدى ابن زيد وأبو دواد الايادى لا تروى العرب أشعارهما لان ألفاظهما ليست بنجدية ، وقال المفضل : كانت الوفود تفد على الملوك بالحيرة وكان عدي بن زيد يسمع لغاتهم فيدخلها فى شعره

فكيف مع هذا ننظر الآن فى شعر عدى فنجد لغته مثل لغة غيره من الشعراء ، وكيف لا نجد أثراً لتلك اللغة الحيرية فيه ؟ بل إن أى كلمة منه

أردت أن تفتش عنها فى كتب اللغة وجدتها بين أخواتها من كلمات اللغة التى أودعت فيها ، لافرق بينها وبين غيرها فى نحوها أو صرفها أو غير ذلك من أحوالها ، فهل تبدل شعر عدى بعد عهد أبى عمرو والاصمعى حتى صارت لغته مثل لغة شـــعر غيره ؟ وإذا لم يكن من الممكن تبديله بعد ذلك العهد فكيف أصبحت الآن لغته لا تمتاز عن لغة غيره بعد أن كانت مميزة عنها فى ذلك العهد ؟

وقد يبدو الجواب عن ذلك صعباً ، وما أسرع بعض أدباء عصرنا عند هذا إلى الحكم بأن هـذا الشعر مختلق على عدى ، ولكن أمر هذا فى شعر عدى مثل أمر غيره من الشعراء الذين لاتمثل أشعارهم الآن اختلاف لهجات قبائلهم ، كأنهم كانوا كلهم من قبيلة واحـدة ، وقد قلنا فى مثل هـذا من الكلام على امرىء القيس إنه كان للشعر العربى قبل الاسلام لغة أدبية متفقة يحتذيها جميع الشعراء ، وكان لعامة العرب لغـة تخاطب معربة أيضاً مثل لغة الشعر ، ولكنها لا تصل فى جودتها وخلوص عربيتها ما تصل اليه لغتهم الادبية فى الشعر وغيره ، خصوصاً فى عواصمهم التى كان يكثر فيها اختلاط العرب بغيرهم ، وتصلهم من آثار الحضارة والشعوب المجاورة لهم ما تتأثر به لغتهم ، ولا شك ان الشعراء لم يكونوا على درجة واحـدة فى احتذاء لغتهم الشعرية ، وأن بعضهم كان يتأثر بلغة عامة العرب خصوصا فى حواضرها فلا يتحرز مما يدخل فيها من غيرها ، وهذا مع محافظته على أصل لغة الشعر ، ووقوفه عند شكلها الذى تتميز به عن غيرها . وكان يكثر هـذا فى مثل عدى بن زيد وأمية بن أبى الصلت وغيرهما من الشعراء الذين حصلوا على حظ من الثقافة فى ذلك العهد ، واطلعوا على آداب الامم الاعجمية ، فلم يروا أن يقفوا بالشعر العربى فى لغته التى وقف عندها غيرهم ممن كان قبلهم أو فى عهدهم ، حتى أصبحت تضيق

به ، ولا تفي بأغراضهم منه ، فتوسعوا فيه ، وأدخلوا فيـــه من الالفاظ الاعجمية ما كان يتحرز غيرهم من الشعراء عنه . وكان اختلاف الشعراء فى ذلك معروفا إلى عهد تدوين اللغة ، فلما دونت أشعارها وأخذت جميع ألفاظها فوضعت فى معجماتها وجعلت كلها لغة واحدة ، أصبحنا لا نميز من ذلك الخلاف بين الشعراء ما كان يميزه أبو عمرو والاصمعى ، ولا نعرف تلك الالفاظ الحيرية التي كانت فى شعر عدى ، ولكنها كانت على كل حال بحيث لا تخرج بلغته فى جملتها عن لغة الشعر العربى ، كما لا تخرج عنها لغة شعرائنا المجددين فى هذا العصر

جمع شعر عدى

ذكر صاحب الفهرست عديا فى الشعراء الذين جمع أبو سعيد السكرى أشعارهم ، وقد ذكر أن جماعة أخرى جمعوه ولكنه لم يذكر أسماءهم ، واسم أبى سعيد السكرى الحسن بن الحسين ؛ وكان كوفيا حسن المعرفة باللغة والأيام ، مرغوبا فى خطه لصحته ، ثقة صدوقا قارئا للقرآن ، وقد انتشر عنه من كتب الادب ما لم ينتشر عن أحد من نظائره ، وكان إذا جمع جمعا فهو الغاية فى الاستيعاب والكثرة ، وقد سمع يحيى بن معين وأبا حاتم السجستانى والرياشى وخلقا آخرين وتوفى سنة ٢٧٥ هـ

وقد روى أشعار عدى وأخباره قبل أبى سعيد السكرى فيما ذكر صاحب الاغانى هشام الكلبى والمفضل الضبى وابن الاعرابى ، وعلى روايتهم اعتمد أبو سعيد السكرى

ومع هذا فانه قد حمل على عدى شعر كثير ، قال محمد بن سلام الجمحى: «وعدى بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف فلان لسانه وسهل

منطقه فحمل عليه شيء كثير وتخليصه شديد واضطرب فيه خلف وخلط فيه المفضل فأكثر وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات وله بعدهن شعر حسن

أرواح مودع أم بكور   لك فاعلم لأي حال تصير
أتعرف رسم الدار من أم معبد   نعم ورماك الشوق قبل التجلد
ليس شيء على المنون بباق   غير وجه المسبح الخلاق
لم أر مثل الفتيان في غبن الا   أيام يسون ماعواقبها

وقال ابن قتيبة الدينوري فيه نحو ذلك، ثم ذكر له أربع قصائد غرر (الاولى والثانية والرابعة) وذكر بدل الثالثة قصيدته :

طال ليلي أراقب التنويرا   أرقب الليل بالصباح بصيرا

ثم ذكر قصيدته :

ألا يأيها المثرى المرجى   ألم تسمع بخطب الاولينا

وذكر صاحب الاغاني طائفة صالحة من قصائده، منها بعض هذه القصائد، ومنها قصائد أخرى ومقطعات نذكرها فيما يأتي :

أرقت لمكفهربات فيه   بوارق يرتقين رؤوس شيب
طال ذا الليل علينا واعتكر   وكأني ناذر الصبح سمر
[illegible] ان عني مألكا   انني قد طال حبسي وانتظاري
من رآنا فليحدث نفسه   [illegible]
رب دار بأسفل الجزع من دو   مة أشهي إلى من جيرون
لمن الدار تعفت بخيم   أصبحت غيرها طول القدم
احسبت مجلسنا وحسـ   ـن حديثنا يودي
ليت شعري عن الهمام ويأتيـ   ـك بخبر الانباء عطف السؤال
سما صقر فأشعل جانبيها   وألهاك المروح والعزيب

أبلغ أبيا على نأيه	هل ينفع المرء ماقد علم
علق الاحشاء من هند علق	مستسر فيه نصب وأرق
من لقلب دنف أو معتمد	قد عصى كل نصوح ومفد
يا خليلي يسرا التعسيرا	ثم روحا فهجرا تهجيرا
يا لبيني أوقدى النارا	إن من تهوين قد حارا
ألا من مبلغ النعمان عنى	علانية فقد ذهب السرار
ألا من مبلغ النعمان عنى	فبينا المرء أغرب إذ أراحا
ألا يا ربما عز	خليـــــلى فتهاونت
تعرف أمس من لميس الطلل	مثل الكتاب الدارس الاحول
بكر العازلون فى وضح الصبـ	ـح يقولون لى ألا تستفيق

وقد جمع القس لويس شيخو اليسوعى أخبار عدى وأشعاره فى كتابه شعراء النصرانية ، فذكر أكثر هذه الاشعار وأضاف اليها أشعارا أخرى من كتب أخرى وجدها فيها إلا ما كان منها غير موف بالمعنى فانه تركه ولم يذكره فى كتابه، وقد نقلنا من كتابه (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية)

إسمع حديثا لكى يوما تجاوبه	عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
سعي الرجيم إلى حوا وسوسة	غوت بها وغوى معها أبو البشر

قد بحثنا له بين دواوين شعراء العربية عن ديوان جمع فيه شعره ، فلم نعثر على ديوان بينها ، فجمعنا أشعاره من هذه الكتب المختلفة

شعر عدى

قد تهيأ لعدى فى هذا العصر مالم يتهيأ لغيره من الشعراء فيه ، نشأ فى رعاية أب أدرك حظا كبيرا من ثقافة عصره ، فعني بتربيته وتهذيبه وإعداده لما كان يرجوه له ، فأخذه فى أول أمره بلغته العربية وعلومها وآدابها ، ثم أخذه بعد ذلك باللغة الفارسية وعلومها وآدابها ، فثقف اللغتين ، وأخذ الادب بالتعليم أخذا منظما ، ولم يترك لما ترك غيره له من شعراء البادية ، من تلك السليقة والفطرة غير المنظمة ؛ ثم قضى حياته كلها بين عاصمة الاكاسرة والمناذرة ، تأخذه مظاهر الحضارة فيهما ، وتؤثر فيــــه آيات الجمال بين ربوعهما ، ويأخذ لونا واحدا من الحياة ناعما لينا ، كان له أثره فى لين شعره وانسجامه . وأخذه فى ذلك شكلا واحدا صقلته تلك الحضارة ، وهذبته تلك المدنية ، وكان له من دينه وبيئته وثقافته ماوقف به فى شعره عنـــــد حدود الفضيلة ، ولم يخرج به عن حد المروءة

ولم يقف تأثر عدى فى شعره عند هذه العوامل وحدها ، بل تأثر معها بما درسه من علم دينى واجتماعى ، وخصوصا علم التاريخ الذى برع فيه ، واطلع

[illegible]

هذا كله فى فنون من الشعر نذكرها فيما يأتى :

(١) الحكمة : وهى حكمة بصيرة مهذبة متنا [illegible]

تبط أبياتها ارتباطا وثيقا ، وليست كتلك الحكم المتناثرة التى كانت ترسلها السليقة البدوية التى لم ترزق مثل تلك الثقافة ، وكان يرسل أحيانا تلك الحكم على لسان حيوان أو جماد لغرض من الاغراض ، كما فعل فى دعوته إلى النصرانية بعض ملوك الحيرة ، ولعله فى ذلك كان متأثرا بما قرأه من ذلك

فى الادب الفارسى ، من كتاب كليلة ودمنة وغيره ، وكان هذا الكتاب قد ترجم فى عهده بأمر كسرى أنو شروان من الهندية إلى الفارسية

(٢) القصص : وهو قصص جميل رائع ، يدل على اطلاع واسع ، وإلمام بأخبار الشعوب البشرية وأساطيرها ، ومعرفة بالتواريخ العربية والفارسية والرومية وغيرها ، ويزيد فى جمال قصص عدى الشعرى أنه لا يسرده سردا تاريخيا صرفا ، بل يسوقه للعظة يستخلصها منه ، والحكمة يزينه بها ، وبعض قصصه دينى يتعلق ببعض قصص التوراة فى مبدإ الخليقة وغير ذلك من القصص الدينية ، وقد نقل تلك القصص من لغة التوراة إلي اللغة العربية فى أسلوب عربى رائع يدل على ما كان له من قدرة فى الترجمة من تلك اللغات إلى العربية ، كما يدل على أنه كان يعرف إلي العربية والفارسية لغة التوراة من العبرانية أو السريانية أو الرومية ، إلا إذا كانت التوراة قد نقلت فى عهده إلى العربية أو الفارسية ، وما نظنها كانت منقولة فى ذلك العهد إليهما

(٣) الاعتذار والاستعطاف : وقد كان عدى فى منزلة لا تحوجه إلى هذا الباب من أبواب الشعر ، ولكنه ألجىء اليه إلجاء فى آخر أمره ، حينما جحد النعمان بن المنذر يده عليه وزج به فى سجنه ، وقد غضب النعمان بعد ذلك على شاعره البدوى النابغة الذبيانى ، وكان منه اعتذار شعرى اليه ، واستعطاف مثل اعتذار عدى واستعطافه ، ولكن اعتذار النابغة اعتذار شاعر كانت صلته بالنعمان صلة تكسب واستجداء ، فيه خنوع وضعف ، وامتهان وذلة نفس ، أما اعتذار عدى فاعتذار صاحب اليد إلى من أنكرها ، وقابل الاحسان بالاساءة ، فيه قوة واعتداد بالنفس ، وشعور بعظمتها ورفعتها ، وإعطاء المعتذر اليه حقه فى الاعتذار ، ولكن بغير هذا الخنوع الذى لا يليق بمن له مروءة وكرامة

وقد أصيب أبو الوليد بن زيدون من ابن جهور ملك قرطبة بمثل ما أصيب به عدى من النعمان ، فاستغل هذه المشابهة بين قصته وقصة عدى ، واستعطف ابن جهور فى سجنه استعطافا تتمثل روح عدى فى شعره ونثره ، ويتحد بعض قصائدهما أحيانا فى الغرض الذى قيلت من أجله ، مثل قصيدتيهما فى زيارة والدتيهما لهما فى سجنهما ، ومثل هذا له مالا يخفى من الدلالة على أن ابن زيدون كان يقلد عديا فى ذلك عن قصد ، ولا يوقعه فيه محض المصادفة

(٤) التشبيب وما إليه : وكان لعدى بعد ذلك جولات فى فنون الشعر المختلفة ، من التشبيب ، ووصف الخمر ، والمدح ، والهجاء ، ووصف الخيل والنوق ، وغير ذلك مما طرقه غيره من الشعراء ، ولكنه كان يقتصد فيه ، وينهج نهج الشاعر الحضرى المهذب ، فلا يسرف فى تشبيبه ، ولا يخرج عن حد المروءة فيه ، وإذا وصف الخمر لا يذكر سكراً ولا عربدة ، وإنما يذكر جمالها ، ويصف محاسنها عنده ، والقينات اللاتى كن يسقينها له ، وكذلك كان فى المدح والهجاء ، وقد كان مقتصداً فيهما جد اقتصاد ، حتى إننا لم نعثر له إلا على قصيدة واحدة فى المدح ، وبيتين اثنين فى الهجاء

مختارات من شعره فى الحكم

قال فى داليته المشهورة وهي إحدى مجمهرات الشعر العربى :

آتعرف رسم الدار من أم معبد ... نعم ورماك الشوق قبل التجلد
ظللت بها أسقي (١) الغرام كأنما ... سقتنى الندامى شربة لم تصرد
فيالك من شوق وطائف عبرة ... كست جيب سربالى إلى غير مسعد
وعاذلة هبت بليـــل تلومنى ... فلما غلت فى اللوم قلت لها اقصدى

(١) أشربه جملة

أعاذل إن اللوم فى غير كنهه (١) ... على ثنى من غيك المتردد
أعاذل إن الجهل من لذة الفتى ... وإن المنايا للرجال بمرصد
أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى ... وأبعده منه إذا لم يسدد
أعاذل من تكتب له النار يلقها ... كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد
ذرينى فانى إنما لى ما مضى ... أمامى من مالى إذا خف عودى
وحمت (٢) لميقاتي إلى منيتى ... وغودرت قد وسدت أو لم أوسد
أعاذل من لا يصلح النفس خاليا ... عن الحى لا يرشد لقول المفند
كفى زاجراً للمرء أيام دهره ... تروح له بالواعظات وتغتدى
بليت وأبليت الرجال وأصبحت ... سنون طوال قد أتت دون مولدي
فلا أنا بدع من حوادث تعترى ... رجالا عرت من مثل بؤسى وأسعد
فنفسك فاحفظها عن الغي والردى ... متى تغوها يغو الذى بك يقتدى
وإن كانت النعماء عندك لامرىء ... فمثلا (٣) بها واجز المطالب وازدد
إذا ما امرؤ لم يرج منك مودة ... فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم ... فعف ولا تأتى بجهد فتنكد
ستدرك من ذى الفحش حقك كله ... بحلمك فى رفق ولما تشدد
ولا تلح إلا من ألام ولا تلم ... وبالبذل من شكوى صديقك فافتد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته ... من اليوم سؤلا أن ييسر فى غد
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه ... يغلب عليه ذو النصير ويضهد (٤)
وفى كثرة الايدى عن الظلم زاجر ... إذا حضرت أيدى الرجال بمشهد (٥)
وللأمر ذو الميسور خير مغبة ... من الامر ذى المعسورة المتردد

(١) حقيقته (٢) حضرت (٣) هبه مثلها (٤) يضطهد (٥) حرب

سأكسب مجداً أو تقوم نوائح   على بليل نادباتي وعودي
ينحن على ميت وأعلن رنة   تؤرق عيني كل باك ومسعد

وقال للنعمان المتنصر على لسان شجرة نزل معه فى ظلها ، وكان هذا فيما يقال سبب تنصره :

من رآنا فليحدث نفسه   أنه موف على قرن زوال
فصروف الدهر لا تبقي لها   ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا   يشربون الخمر بالماء الزلال
والاباريق عليها فدم (١)   وجياد الخيل تجرى فى الجلال
عمروا الدهر بعيش حسن   قطعوا دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا   وكذاك الدهر حالا بعد حال

ثم قال له على لسان مقبرة مرا بها :

أيها الركب المخبو   ن على الارض المجدونا
كما أنتم كذا كنا   كما نحن تكونونا

وقال فى الحكم أيضاً :

طال ليلى أراقب التنويرا   أرقب الليل بالصباح بصيرا
شط وصل الذى تريدين منى   وصغير الامور يجنى الكبيرا
إن للدهر صولة فاحذرنها   لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبات الفتى صحيحاً فيردى   ولقد بات آمناً مسرورا
لا أرى الموت يسبق الموت شيء   نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
للمنايا مع الغدو رواح   كل يوم ترى لهن عقيرا
كم ترى اليوم من صحيح تمنى   وغدا حشو ريطة مقبورا

(١) جمع فدام وهو المصفاة

أين أين الفرار مما سيأتى ... لا أرى طائراً نجا أن يطيرا
فامش قصداً إذا مشيت وأبصر ... إن للقصد منهجا وجسورا
إن فى القصد لابن آدم خيراً ... وسبيلا على الضعيف يسيرا

مختارات من شعره القصصى

قال فى نظم قصة الزباء مع جذيمة وقصير :

ألا يأيها المثري المرجي ... ألم تسمع بخطب الاولينا
دعا بالبقة (١) الامراء يوما ... جذيمة ينتحى عصبا (٢) ثبينا
فطاوع أمرهم وعصى قصيرا ... وكان يقول لو تبع اليقينا
ودست فى صحيفتها اليه ... ليملك بضعها ولأن تدينا
فأردته ورغب النفس يردى ... ويبدى للفتى الحين المبينا
وخبرت العصا (٣) الانباء عنه ... ولم أر مثل فارسها هجينا
وقددت الاديم لراهشيه (٤) ... وألفى قولها كذبا ومينا
ومن حذر الملاوم والمخازى ... وهن المندبات لمن منينا
أطف (٥) لأنفه الموسى قصير ... ليجدعه وكان به ضنينا
فأهواه لمارنه فأضحى ... طلاب الوتر مجدوعا مشينا
وصادفت امرءا لم تخش منه ... غوائله وما أمنت أمينا
فلما ارتد منها ارتد صلبا ... تجر المال والصدر الضغينا
أتتها العيس تحمل ما دهاها ... وقنع فى المسوح (٦) الدارعينا

---

(١) موضع قريب من الحيرة (٢) عمائمه متبنة بالزعفران وكانت العمائم الحمر لسادة العرب (٣) فرس جذيمة (٤) عرقان فى باطن الذراعين (٥) أهوى (٦) أكسية من شعر

ودس لها على الانفاق عمراً بشكته وما خشيت كميناً
بجللها قديم الاثر دضبا يصك به الحواجب والجبينا
فأضحت من خزائنها كأن لم تكن زباء حاملة جنينا
وأبرزها الحوادث والمنايا وأي معمر لا يبتلينا
إذا أمهلن ذا جـد عظيم عطفن له ولو فرطن حينا
ولم أجد الفتى يلهو بشيء ولو أثرى ولو ولد البنينا

وقال فى قصة سيف بن ذى يزن وقصة الحضر وصاحبه الضيزن

لم أر مثل الفتيان فى غبن(١) الـ أيام ينسون ما عواقبها
ينسون إخوانهم ومصرعهم وكيف تعتاقهم مخالبها
ماذا ترجى النفوس من طلب الـ خير وحب الحياة كاربها
تظن أن لن يصيبها عنت الد هر وريب المنون صائبها
مابعد صنعاء كان يعمرها ولاة ملك جزل مواهبها
محفوفة بالجبال دون عرى الـ كائد ما ترتقى غواربها
ساقت اليها الاسباب جند بنى الـ أحرار فرسانها مواكبها
وفوزت بالبغال توسق بالـ حتف وتسعى بها توالبها (٢)
حتى رآها الاقوال (٣) من طرف الـ منقل مخضرة كتائبها
يوم ينادون آل بربر والـ يكسوم (٤) لا يفلتن هاربها
فكان يوم باقى الحديث وزا لت أمة ثابت مراتبها

والحضر ت عليه داهية من فوقه آيد (٥) منا كبها

(١) خدعها (٢) التولب ولد الثعلب (٣) ملوك حمير (٤) الحبشة
(٥) قوى

ربية (١) لم توق والدها يحبها إذ أضاع راقبها
إذ غبقته صهباء صافية والخمر وهل (٢) يهيم شاربها
وأسلمت أهلها بليلتها تظن أن الرئيس (٣) خاطبها
فى ليلة لايرى بها أحد يحكى عليها إلا كواكبها
فكان حظ العروس إذجشر الـ صبح دماء تجرى سبائبها
وخرب الحضر واستبيح وقد أحرق فى خدرها مشاجبها

وقال فى نظم قصة مبدإ الخلق من التوراة

اسمع حديثا لكى يوما تجاوبه عن ظهر غيب إذا ماسائل سألا
أن كيف أبدى إله الخلق نعمته فينا وعرفنا آياته الاولا
كانت رياحا وماء ذا عرانية (٤) وظلمة لم يدع فتقا ولا خللا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها تحت السماء سواء مثل مافعلا
وجعل الشمس مصرا (٥) لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة أيام خلائقه وكان آخر شىء صور الرجلا
ثمت أورثه الفردوس يعمرها وزوجة صنعة من ضلعه جعلا
لم ينهه ربه عن غير واحدة من شجر طيب إن شم أو أكلا
فعمدا للتي من أكلها نهيا بأمر حواء لم تأخذه الدغلا
كلاهما خاط إذ بز لبوسهما من ورق التين ثوبا لم يكن غزلا
فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت كما ترى ناقة فى الخلق أو جملا (٦)

---

(١) يعنى ابنة الضيزن التى خانت والدها (٢) من وهل إلى الشىء ذهب إليه وهمه وهو يريد غيره (٣) سابور (٤) العرانية مد السيل (٥) المصر الحاجز بين الشيئين (٦) هذا من مزاعم العرب فى أصل الحية

فلاطها الله إذ أغوت خليفته　　طول الليالى لم يجعل لها أجلا
تمشى على بطنها فى الدهر ما عمرت　　والترب تأكله حزنا وإن سهلا
فأتعبا أبوانا فى حياتهما　　ووجدا الجوع والاوصاب والعللا

وقال فى تجربة إبليس لحواء وعقاب الحية :

سعى الرجيم إلى حوا بوسوسة　　غوت بها وغوى معها أبو البشر
خلقان من مارج أنشا خليقته　　وآخر من تراب الارض والمدر
أنشاهما ليطيعاه فخالفه　　إبليس عن أمره للحين والقدر
فأبلس الله إبليسا وأسكنه (١)　　دارا من الخلد بين الروض والشجر
فاغتاظ إبليس من بغي ومن حسد　　فاحتال للحية الرقطاء والطير (٢)
فأدخلاه بأيمان مؤكدة　　أعطاهما بيمين كاذب غدر
هنالك سار إلى حوا بوسوسة　　أردت بغراتها معها أبا البشر
فاهبطوا من معاصيهم وكلهم　　نائى المحل فقيد العين والاثر
وأهبط الله إبليسا وأوعده　　نارا تلهب بالاسعار والشرر
وأنزل الله للطاووس زخمته (٣)　　من صوته ورمى رجليه بالنكر
وأعد الحية الحسناء حين عفت　　مسح القوائم بعد السعى كالبقر
واعصب الله حوا بيدى فعلت　　بالطمث والطلق والاحزان والفكر

(١) الضمير للانسان (٢) يريد الطاووس (٣) ضعف صوته

مختارات من شعره فى سجنه

فى الاعتذار ونحوه

قال يعاتب النعمان ويعتذر اليه :

أرقت لمكفهر (١) بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب
سعى الاعداء لا يألون شرا عليك ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدي ليسجن أو يدهده فى القليب (٢)
وكنت لزاز خصمك لم أعرد (٣) وقد سلكوك فى يوم عصيب
ففزت عليهم لما التقينا بتاجك فوزة القدح الاريب
وما دهرى (٤) بأن كدرت فضلا ولكن مالقيت من العجيب
فان أخطأت أو أوهمت أمرا فقد يهم المصافى بالحبيب
وإن أظلم فقد عاقبتموني وإن أظلم فذلك من نصيبي
وإن أهلك تجد فقدى وتخزل إذا التقت العوالي فى الحروب
فهل لك أن تدارك مالدينا ولا تغلب على الرأى المصيب
فاني قد وكلت اليوم أمرى إلى رب قريب مستجيب

وقال فى ذلك أيضا :

أبلغ النعمان عنى مألكا أننى قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى
وعداتي شمتت أعجبهم أننى غيبت عنهم فى إسارى
ليت شعرى عن دخيل يفترى حيثما أدرك ليلي ونهارى

---

(١) سحاب مكهفر مظلم (٢) البئر (٣) أهرب (٤) عادتى

لامرىء لم يبل مني سقطة إن أصابته ملمات العثار
قاعدا يكرب نفسى بثها وحراما كان سجنى واحتصارى
نحن (١) كنا قد علمتم قبلكم عمد البيت وأوتاد الاصار
وأبوك المرء لم يشنأ به يوم سيم الخسف مناذو(٢) الخسار
أجل (٣) نعمى ربها أولكم ودنوى كان منكم واصطهارى
أجل ان الله قد فضلكم فوق من أحكأ (٤) صلبا بازار

وقال أيضا فى ذلك وقد زارته أمه فى سجنه ولابن زيدون قصيدة (٥) فى هذا الموضوع عينه يقلد فيها عديا فى زيارة أمه له فى سجنه :

ليس شىء على المنون بباقي غير وجه المسبح الخلاق
ان نكن آمنين فاجأنا شـ ـر مصيب ذا الود والاشفاق
فبرىء صدرى من الظلم للربـ ـب وحنث بمعقد الميثاق
ولقد ساءنى زيارة ذى قر بى حبيب لو دنا مشتاق
ساءه مابنا تبين فى الايـ ـدي وإشناقها الى الاعناق
فاذهبي يا أميم غير بعيد لا يؤاتى العناق من فى الوثاق
واذهبي ياأميم إن يشاء الله ينفس من أزم هذا الخناق
أو تكن وجهة فتلك سبيل النا س لا تمنع الحتوف الرواقى

* * *

يا أبا مسهر فأبلغ رسولا إخوتى ان أتيت صحن العراق

---

(١) يعنى ما كان من تولية أبيه زيد على الحيرة (٢) نائب فاعل يشنأ يعنى بذلك منع المنذر أهل الحيرة من أخذ مال زيد عند موته وهو بالشام (٣) يعني من أجل ذلك (٤) شد (٥) مطلعها :

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل

أبلغا عامرا وأبلغ اخاه أنني موثق شديد وثاقي
فى حديد القسطاس يرقبنى الحا رس والمرء كل شيء يلاقي
فاركبوا فى الحرام(١) فكوا أخاكم إن عيرا(٢) قدجهزت لانطلاق

وقال أيضا يذكره :

أرواح مودع أم بكور لك فاعمد لأى حال تصير
ويقول العداة أودى عدى وعدى بسخط رب أسير
أيها الشامت المعير بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الايـ ـام بل أنت جاهل مغرور
إن يصبني بعض الهنات فلا وا ن ضعيف ولا أكب عثور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الر وم لم يبق منهم مذكور
وتذكر رب الخورنق إذ أشـ ـرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـ ـطة حي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والام ة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جفـ ـف فألوت به الصبا (٣) والدبور

(١) يعنى فى الشهر الحرام (٢) قافلة (٣) الريح الشرقية والغربية

مختارات من شعره
فى
فنون الشعر المعروفة

قال فى التغزل والخمر:

بكر العازلون فى وضح الصبـ ... ـح يقولون لى ألا تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق
لست أدرى إذ أكثروا العذل عندى ... أعدو يلومنى أم صديق
زانها حسنها وفرع عميم ... وأثيث (١) صلت الجبين أنيق
وثنايا مفلجات عذاب ... لاقصار ترى ولاهن روق (٢)
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت ... قينـة فى يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الديـ ... ـك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما ... مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقاقيع كالياقـ ... ـوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب ... غير ما آجن ولا مطروق

وقال فى ذلك أيضا:

أبلغ خليلى عنـد هند فلا ... زلت قريبا من سواد الخصوص (٣)
موازى القرة أو دونها ... غير بعيد من عمير اللصوص
أنك ذو عهد وذو مصدق ... مخالف عهد الكذوب اللموص
تأكل ماشئت وتعتلها ... خمرا من الخص كلون الفصوص
ينفح من أردانك المسك والـ ... ـهندي والغار ولبنى (٤) قفوص

(١) وجه أثيث عظيم وصلت واضح (٢) طويلة (٣) هو وما بعده أسماء مواضع بالعراق (٤) شجرة لها عسل

تفضك الخيل وتصطادك الـ طير ولا تنكع (١) لهو القنيص
يانفس أبقي واتقي شتم ذي الاعراض في غير نوص
قد يدرك المبطيء من حظه والخير قد يسبق جهد الحريص

وقال من قصيدة له طويلة في المدح :

ماذا ترجون ان أودي ربيعكم بعد الاله ومن أزكى لكم نارا
كلا يمينا بذات الورع لوحدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا (٢)
بتل جحوش(٣) مايدعومؤ ذنهم لأمر دهر ولايحتث أنفارا

٭٭٭

وأحور العين مربوب له غسن(٤) مقلد من نظام الدر تقصارا
عف المكاسب ماتكدي حسافته(٥) كالبحر يقذف بالتيار تيارا
وذي تناوير ممعون له صبح يغذو أوابد قدأفلين (٦) أمهارا
كأن ريقه شؤبوب غادية لما تقفى رقيب النقع مسطارا
ولا نحل نبي (٧) البشر قبته تسومه الروم ان تعطوه قنطارا
فأيكم لم ينله عرف نائله دثراسواما وفي الارياف أوصارا

وقال من قصيدة في وصف فرس :

مضمم أطراف العظام محنبا يهزهز غصنا ذا ذوائب مائعا (٨)
أجال عليه بالقناة غلامنا فأذرعنه لخلة الشاة راقعا (٩)
فضاف يعرى جله عن سراته يبذ الجياد فارها متتابعا
فآض كصدر الرمح نهدا مصدرا يكفكف منه خنزوانا منازعا

---

(١) ولا تمنع (٢) إسم موضع (٣) بلد بالجزيرة (٤) الغسنة خصلة الشعر (٥) قليله (٦) عزلن عن الرضاع (٧) اسم موضع (٨) ماعت ناصية الفرس سالت (٩) رقعت خلة الفرس أدركته فطعنته

وقال فى وصف نوقه :

من يكن ذا القح راخيات فلقاحى ما تذوق الشعيرا
بل حواب فى ظلال فسيل ملئت أجوافهن عصيرا
فتهادرن كذاك زمانا ثم موتن فكن قبورا

وقال وقد دعا النعمان ليتغدى عنده فتغدى عند ابن مرينا ثم ذهب إليه ولا فضل عنده فأحفظه ذلك :

أحسبت مجلسنا وحسن حديثنا يودى بمالك
فالمال والاهلون مصرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك فى يمينك أو شمالك

وقال فى الهجاء :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الاديم الاكارع

وقال يهجو تميما :

تزود من الشبعان(١) خلفك نظرة فان بلاد الجوع حيث تميم

منزلة عدى فى الشعر

(١) مآخذهم عليه

فى ألفاظه ومعانيه : قد أخذ جمهور علماء الادب على عدى الفاظه الحيرية من جهة لينها ورقتها وعدم خلوص عربيتها بما كان يدخلها من لغات الوفود التى تفد على ملوك الحيرة ، فسقطت بهذا منزلته عندهم ، وجعلوه

(١) اسم موضع

فى الشعراء مثل سهيل فى النجوم ، ومنهم من قال مثل الشعرى فيها ، تعارضها ولا تجرى معها ، وقد سئل الاصمعى عنه أفحل هو ؟ فقال : ليس بفحل ولا أنثى ، وذكر ابن قتيبة أن العلماء لا يرون شعره حجة

ولا شك أن سهولة اللفظ بالفه ، وعدم سهواته بعدم إلفه ، وذلك من الامور التى لاترجع إلى اللفظ فى ذاته . ولا يصح أن يؤخذ بها فيه ، ورب لفظ مألوف عند قوم غير مألوف عند آخرين ، فلو كان ذلك يوجب شيئا فيه لأدى فيه إلى وجهتين مختلفتين ، واعتبارين متناقضين ، وقد كانت الالفاظ البدوية غير مألوفة لأهل الحضر لبعدهم عن أهلها ، فتأثر بهذا فيها أولئك العلماء وجعلوها هى الالفاظ الفحلة الفخمة ، وجني على الالفاظ الحضرية عندهم إلفهم لها ، ونشأتهم بين أهلها ، مع أن الالفاظ البدوية مألوفة لأهلها كما أن الالفاظ الحضرية مألوفة لأهلها ، وقد تكون الالفاظ الحضرية أعذب منطقا ؛ وأجمل صوتا ، وأخف سمعا ، وأما ألفاظ تلك الوفود فلا شيء فى استعمالها بعد صقلها ، وإلحاقها بأوزان العربية ومقاييسها ، خصوصا إذا لم يكن لهـا نظائر ولا أشباه فى العربية تغني عنها . وتسد مسدها ، ورب كلمة أعجمية تكون بعد تعريبها أحسن لفظا من مرادفها العربى ، وأجمل منه حروفا ، وأحق منه استعمالا ، وقد أخذ العرب من لغات غيرهم ألفاظا لها مرادفها فى لغتهم ، ولم يقتصروا فى التعريب على مالا مرادف له عندهم مثل التأمورة والابريق ، والناطس والجاسوس ، ثم استعملوا فى كلامهم هذا وذاك ،(١) وربما كانت الكلمة الاعجمية أكثر استعمالا من مرادفتها العربية(٢)

(١) وهذا كما قال امرؤ القيس :

وإنى زعيم إن رجعت مملكا   بسير ترى منه الفرانق أزورا

والفرانق الاسد تعريب بروانك (٢) انظر الصفحة التالية

ألفاظ أعجمية

أخف من نظائرها العربية أو أكثر استعمالا منها

اللفظ العجمي	اللفظ العربي	
يَمّ	بحر	اليم كلمة سريانية وقد استعملها القرآن الكريم مع كلمة البحر
مِشْكَاةٌ	كُوَّة غير نافذة	المشكاة كلمة حبشية وقد استعملها القرآن ولم يستعمل كلمة كوة
بِنَّة	مُلْمُول	البنة كلمة انجليزية تطلق على القلم المعروف والملمول الحديدة يكتب بها فى ألواح الدفتر
نُوتَة	كُنَّاشَة	النوتة كلمة فرنجية يرادفها من العربية كناشة ويراد منهما أوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط
زَلَطٌ	دُمْلُوقٌ	الزلط كلمة عامية والدملوق والدُّمَلِق والدُّمَالِق الاملس المستدير من الحجارة
تُوتٌ	فِرْصَادٌ	التوت كلمة أعجمية عربها العرب واستعملوها ويسمى التوت عندهم الفرصاد

فاللفظ لايعاب عندى إلا من جهة ثقله وتنافر حروفه ، لأن هـذا يرجع إلى أمر يتعلق بذاته ، أما غرابته ووضوحه ، وعربيته وأعجميته ،فلا يعاب عليه بشيء من جهتها ، بل يجب أن نؤثر الغريب علي غيره إذا كانت حروفه أجمل من حروفه ، وغرابته ليست إلا عرضا طارئا عليه يزول بكثرة استعماله ، كما يجب أن نؤثر الاعجمى على العربى إذا كان أجمل منه فى ذلك ، وأن ندع ذلك التعصب للعربية إلى الحد الذى يعوقنا عن السير بها فى طريق الكمال ، فلا يصح أن نكون أشد تعصبا لهـا من أهلها ، وأن نضرها بذلك ضرر الصديق الجاهل لصديقه

ومع أن عديا قد بلغ تعصبهم عليه إلى حد إسقاطهم الاحتجاج بشعره ، فلا تجد لهم فى أشعاره من المآخذ مثل غيره من الشعراء الذين يحتج بشعرهم عندهم ، ومما أخذوه عليه السناد فى قوله :

وقـددت الأديم لراهشـيه ‍ ‍ ‍ ‍ وألـفى قولهـا كذبا ومينـا

فان قافية القصيدة على النون والياء المكسور ما قبلها ، والياء هنا مفتوح ماقبلها ، وقدجعلوا فى البيت أيضا ذكر المين بعد الكذب تطويلا ، ورواية المفضـل « كذبا مبينا » ولا تطويل فيها ولا سناد ، ولكن الرواية الصحيحة هى الأولى

وعدوا أيضا قوله :

ولقـد عـديت دوسرة ‍ ‍ ‍ ‍ كعـلاة القـين مذكارا

فى الأبيات التي قصر فيها أصحابهـا عن الغايات التى أجروا إليها ، ولم يسدوا الخلل الواقع فيها معنى ولا لفظا ، لأن المذكار التى تلد الذكران والمئناث عندهم أحمد ، وقد أراد مذكرة فلم يتفق له

وقال عدي أيضا :

لاأرى الموت يسبق الموت شيء   نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فاستشهد به سيبويه على إعادة الظاهر موضع المضمر ، وفيه قبح إذا كان تكريره فى جملة واحدة ، لأنه يستغنى بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز ذلك إلا فى ضرورة ، وقد خالف المبرد سيبويه فى ذلك لأن الموت اسم جنس ، وإنما كره زيد قام زيد لئلا يتوهم أن الثاني خلاف الاول ، وهذا لايتوهم فى الاجناس ، قال تعالي (إذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها) وإنى أرى أن المعارف إذا تكررت فلامحل لتوهم أن الثاني فيها خلاف الاول، ولا فرق فيها بين الاجناس وغيرها ، وإنما القبح فى ذلك لقبح التكرار فى ذاته، والارض مكررة فى جملتين بل فى آيتين فلا قبح فى تكرارها

ومما أخذ عليه قوله فى صفة الفرس :

فضاف يعرى جله عن سراته   يبد الجياد فارها متتابعا

ولا يقال للفرس فاره ، وإنما يقال له جواد وعتيق ، ويقال للكودن والبغل والحمار فاره

ومثل هذا أيضا وصفه الخمر بالخضرة ولا يعلم أحد وصفها بذلك ، وهذا فى قوله :

والمشرف الهندى يسقى به   أخضر مطموثا بماء الجريض

تكراره فى ألفاظه ومعانيه : ويمكن أن يؤخذ على عدى أيضا ماحصل فى بعض شعره من تكرار فى ألفاظه ومعانيه ، ولكن هذا قليل فى شعره ، ولا يبلغ مابلغ امرؤ القيس فيه ، ومن أمثلة ماجاء فى شعره من ذلك :

ألا من مبلغ النعمان عنى   علانية فقد ذهب السرار

ألا من مبلغ النعمان عنى   فبينا المرء أغرب إذ أراحا

ألا من مبلغ النعمان عنى   وقد تهوى النصيحة بالمغيب

***

أبلغ النعمان عنى مألكا أنني قد طال حبسى وانتظارى
أبلغ النعمان عني مألكا قول من قدخاف ظنا فاعتذر

***

وتقول العداة أودى عدى وبنوه قد أيقنوا بعلاق
ويقول العداة أودى عدي وعدى بسخط رب أسير

(٢) محاسنه عند بعضهم

وقد كان قليل من الناس ينتصر لعدى بازاء تعصب جمهور علماء الادب عليه ، ومن ذلك القليل من كان ينتصر له من أجل عصبية النسب ، روى ابن الكلبي أن من بنى تميم من يقول بتقديم عدى على غيره من الشعراء ، وأنشد لحارثة بن بدر الغداني :

والشعر كان مبيته ومظاله عند العبادى الذى لا يجهل

وقال حماد : أدركت رجالا من بنى تميم لا يفضلون على عدي فى الشعر أحدا

ومن ذلك القليل من كان ينتصر له انتصاراً مطلقا لا يذكر فيه وجه تقديمه له على غيره ، ولا سبب انتصاره له ، وكان إياس النصري يقول : أشعر العرب أبو دواد الايادى (١) وعدى بن زيد ، وأبو دواد يشارك عدياً فى الجهة التى تعصب عليه جمهور علماء الادب من أجلها ، فلعلها هى الجهة التى انتصر إياس لهما بها

---

(١) وممن كان يتعصب لابى دواد وحده أبو الاسود الدؤلي العالم الشاعر المشهور

وقال محمد بن الحجاج قلت لابن مناذر من أشعر الناس؟ قال من كنت في شعره ، فقلت له على ذاك ، فقال عدى بن زيد ، وكان محمد بن مناذر ينحو في شعره نحوه ، ويقدمه ويتخذه إماما له ، وروى حماد الارقط أن ابن مناذر لقيه بمكة فأنشده قصيدته :

كل حى لاقى الحمام فمود مالحى مؤمل من خلود

ثم قال له : اقرىء أبا عبيدة السلام ، وقل له يقول لك ابن مناذر اتق الله واحكم بين شعرى وشعر عدى بن زيد ، ولا تقل ذلك جاهلي وهذا إسلامى وذاك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصرين ، ولكن احكم بين الشعرين ، ودع العصبية .

وقال أبو الشبل البرجمي : ماشعر على بن الجهم فى الحبس بدون شعر عدي ابن زيد ، وهو فى هذا يرى أن شعر عدى فى حبسه قد بلغ من الجودة بحيث يقاس فى ذلك عليه غيره ، ويجعل من فضله أن يبلغ مرتبته

وكان يونس يعجب بقصيدة عدى :

أرواح مودع أم بكور لك فاعلم لأى حال تصير

وكان يقول لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذه أو مثل هذه

ومما يستجاد لعدى قوله :

وصحيح أضحى يعود مريضا وهو أدنى للموت ممن يعود

وقد أخذه منه على بن الجهم وأحسن فيه فقال :

كم من عليل قد تخطاه الردى فنجا ومات طبيبه والعواد

وقال محمود الوراق :

وكم من مريض نعاه الطبيب إلى نفسه وتولى كئيبا
فمات الطبيب وعاش المريض فأضحى إلى الناس ينعى الطبيبا

فأساء فيه لأنه إن كان أخذه من علي وجاء به في بيتين ومضغه وصيره قصصا بقوله « أضحى ينعاه إلى الناس » فقد أخطأ ، وإن كان علي أخذه منه فقد جاء في بيت واحد وأحسن فصار أحق بالمعنى منه

وإذا كانت المآخذ التي أخذوها على عدى لا تقتضى تأخيره في الاطلاق على غيره ، فكذلك شأن هذه المحاسن لا تقتضى تقديمه في الاطلاق على غيره ، لانها ترجع إلى أمور جزئية لا تقتضى هذا الاطلاق في التأخير أو التقديم ، ولا توجب تقديم شاعر على آخر أو تأخيره عنه من سائر نواحيه

الموازنة بين الشاعرين

(١) في سيرتهما

ما يتفقان فيه : يتفق امرؤ القيس مع عدي في أنهما كانا شاعرين نشآ في بيئة ملك وإمارة ، فامرؤ القيس كان أبوه ملكا ، وعدى كان أبوه عند كسرى في منزلة الملوك المناذرة ، وقد ولاه أهل الحيرة عليهم بعد موت بعض ملوك المناذرة إلى أن ولى كسرى بدله

ويتفقان أيضا في أنهما لم يتجرا بشعرهما كما اتجر به غيرهما ، وكان الاتجار بالشعر نادرا في عهدهما ، ولم يكن يقول الشعر في هذا العهد إلا ذوو المكانة من الملوك والامراء وعظماء العرب وحكمائهم ، فكانوا يربئون بأنفسهم عن الاتجار به ، ولم يقصد به الملوك للاستفادة إلا قليل منهم ، مثل طرفة والمتلمس حينما قصدا عمرو بن هند ، وكانا ينادمانه ويأخذان من صلاته ، ومع هذا كانا لا يشعران بنقص في أنفسهما عنه ، وكانا يغضبان إذا رأيا منه استخفافا بهما ويهجوانه

مايختلفان فيه : يمتاز عدى على امرىء القيس من جهات كثيرة ، منها أن عديا تقلب فى أحضان الحضارة بالحيرة والمدائن فى صغره وكبره ، أما امرؤ القيس فنشأ بالبادية فى ظل ملك بدوى فيه خشونة وترف ، وشدة ولين ، ومنها أن عديا أخذ بتربية مدرسية جمع فيها بين ثقافات العرب والفرس والروم ، أما امرؤ القيس فكان شأنه مثل شأن سائر أبناء البادية إذ يتركون لسليقتهم وفطرتهم ، ومنها أن عديا كان له دين نشأ عليه ، واحتفظ به إلى آخر حياته ، فكان له أثره فى استقامته ، كما كان لبيئته فى بيته واتصاله بالاكاسرة والمناذرة أثرها فى ذلك أيضا ، أما امرؤ القيس فلم يكن للدين أثر فى نفسه ، وقد قضى شبابه بين صعاليك العرب وذؤبانهم ، فتأثر ببيئتهم ، واكتسب كثيرا من رذائلهم ، ولم تكن بيئته الملكية تمتاز إلا قليلا عن هذه البيئة ، لان الفرق بين طبقات الناس لايكاد يذكر فى البادية ، ومنها أن عيشة عدى كانت هادئة ساكنة ، فى ظل ملكين ثابتين مستقرين ، ملك المناذرة بالحيرة ، وملك الاكاسرة بالمدائن ، أما امرؤ القيس فانه لم يرهدوءا فى حياته ، فقد قضى شبابه فى غاراته الآثمة مع صعاليكه وذؤبانه ، وعيشته اللاهية الفاجرة بينهم ؛ وكان ملك آبائه فى عهده مضطربا تهب عليه الاعاصير السياسية من كل ناحية ، وتكاد تقتلع جذوره من قلب البادية ، فلم يفق من غفلته فى شبابه إلا ليلقي بنفسه فى حروب توقعه فى اضطراب أشد مما كان فيه ، ويلاقى فيها ما يلاقى حتى تقضى عليه

فاذا كان لحياة الشاعر أثرها فى شعره وأخذها به إلى أغراض نافعة فى الحياة أو غير نافعة ، وألفاظ ومعان جميلة أو غير جميله ، فان حياة عدى أجدر بأن ترجحه فى ذلك على امرىء القيس ، وتخلع على شعره استقامة من استقامتها ، وجمالا من مظاهر الجمال التى كانت تحيط بها من كل ناحية ، وتبعد

به عن وحشة البداوة وخشونتها ، وتجهمها وغموضها ، والجمال أظهر ما يكون في الحضر ، إذ تعمل فيه يد الانسان والطبيعة معا ، أما البدو فليس فيه إلا جمال الطبيعة وحدها ، ومظاهر الطبيعة لا تكون دائما جميلة ، خصوصا في تلك البوادي الموحشة ، والصحاري المقفرة

(٢) في شعريهما

أغراضهما الشعرية : إذا وازنا بين امرىء القيس وعدي في أغراضهما الشعرية تجد عديا يمتاز على امرىء القيس في ذلك امتيازا ظاهرا ، فعدي ينظر في شعره إلى الكون بأسره ، ويؤدي به رسالة عامة في الحياة ، فهو فيه الحكيم الناصح الصادق النصيحة للانسانية عامة ، والقاص البارع الذي يجيد سبك القصة ويعرف كيف يستخلص منها الموعظة الحسنة ، والحكمة العجيبة ، وكم رد بذلك ملوكا عن طغيانها ، وهدى نفوسا إلى رشادها ، حتى ترك لنا في هذا شعرا خالدا تبلى الحياة ولا يبلى ، وتظهر عليها آثار القدم وهو لا يزال جديدا ، لأنه لم يكن ينظر فيه إلى عصره وحده ، بل كان ينظر فيه إلى كل العصور ، ويراعي فيه سائر الازمنة ، حتى يكون مناسبا لكل زمن ، ومقبولا عند كل أمة من الامم ، فاذا أراد يوما أن يستخدم شعره في خاصة نفسه غلبت عليه نزعته هذه في شعره ، وأبى إلا أن يجاوزها به ، ويمضي من ذلك في حكم متصلة ، أو قصص لها ارتباط بموضوعه ، وهذا كما كان يفعل في قصائده في استعطاف النعمان بن المنذر حينما زج به في سجنه ، فكان كثيرا ما ينسى فيها أمر نفسه ، ويمضي في القصص أو نحوه مما كان يمضي فيه ، ويقصد إلى وعظ النعمان بذلك وتذكيره بأحوال السابقين ، والملوك الغابرين ، وهو ذلك السجين الذي ينأى بمثله سجنه عن مقام الوعظ ، وتنسيه نفسه واجب

الارشاد ، وتصير به إلى وسائل أخرى قد تكون أقرب إلى خلاصه ، وفك إساره

أما امرؤ القيس فكان لا يعرف فى شعره إلا نفسه وشهواتها ، ولا يعرف فى الدنيا شيئا سواها ، ولا تحدثه نفسه بأن عليه فى شعره رسالة يؤديها للناس ، وواجبا مفروضا عليه لله والخلق ، حتى إنه بعد أن قتل أبوه وأيقظته الايام من غفلته لم يترك أمر نفسه فى شعره ، بل انتقل به من شهواتها إلى الشكوى مما أصابها ؛ واستخدمه فى أغراض أخرى خاصة بها ؛ من مدح بعض الناس إذا ساعدوه فى طلب ثأر أبيه ، وهجوهم إذا قعدوا عن مساعدته فيه ، فلم ينس نفسه فى الحالتين ، ولم يجاوز بشعره تلك الحدود الضيقة

ويمتاز عدى أيضا بأن أغراضه من شعره كانت إلا فى النادر منها تتعلق بجد الحياة دون لهوها وعبثها ، فاذا عبث به عبث فى اقتصاد ، ولم يجاوز حد الاعتدال ، ولم يأت بما يؤخذ عليه فى دينه أو مروءته ، أو يكون قدوة سيئة للناس فى الاخذ بالرذيلة ، وإعلانها بين الناس فى الشعر ، وكان امرؤ القيس على خلافه فى هذا كله ، فقد أسرف فى شعره إسرافا صار به زعيم طائفته من أولئك الشعراء الخلعاء ، واستحق به لقب الملك الضليل عليهم ، وقد روى أنه خرج وفد من جهينة يريدون النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما قدموا عليه سألهم عن مسيرهم ، فقالوا يارسول الله لولا بيتان قالهما امرؤ القيس لهلكنا ، قال وماذلك ؟ قالوا خرجنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق إذا برجل على ناقة له مقبل إلينا ، فنظر اليه بعض القوم فأعجبه سير الناقة فتمثل بيتين لامرىء القيس ، وهما قوله

ولما رأت أن الشريعة وردها   وأن البياض من فرائصها دامى

تيممت العين التي جنب ضارج يفيء عليها الظل عرمضها الطامى

وقد كان ماؤنا نفد ، فاستدللنا على العين بهذين البيتين فوردناها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إني لو أدركته لنفعته ، وكأني أنظر إلى صفرته وبياض إبطيه وحموشة ساقيه في يده لواء الشعراء يتدهدى بهم في النار

ويمتاز عدى أيضا فى ذلك بأنه كان يعنى بترتيب قصائده وتأليفها ، وسوقها فى الغرض الذى تقال فيه ، فيتكون من قصيدته وحدة مرتبة الاجزاء ، ملتئمة السياق ، متحدة الغرض ، وامرؤ القيس كان يحاول أن يجمع كل أغراضه الشعرية فى كل قصيدة من قصائده ، وهى فى هذا كأنها كلها قصيدة واحدة ، وكان لا يعنى فى قصيدته بترتيب أجزائها ، ولا بوضع أبياتها فى مواضعها التى لا يصح تقديمها عليها أو تأخيرها عنها

ألفاظهما ومعانيهما : وإذا وازنا بين امرىء القيس وعدى فى ألفاظهما ومعانيهما الشعرية وجدنا أن كلا منهما يتأثر فى ذلك ببيئته التى نشأ فيها ، فعدى من أبناء الحضر يمثل شعره فى الاجمال ألفاظ حضره ، وامرؤ القيس من أبناء البادية يمثل شعره فى الاجمال ألفاظ باديته ، فاذا أردنا أن نجعلها موازنة عامة بين ألفاظ أهل الحضر وألفاظ أهل البادية فألفاظ أهل الحضر تمثل رقة طباعهم ، وجمال حضارتهم ، ولين معيشتهم ، وألفاظ أهل البادية تمثل غلظ طباعهم ، وغموض بداوتهم ، وخشونة معيشتهم ، ولا شك أن ألفاظ أهل الحضر فى ذلك أجمع لمعانى الجمال من ألفاظ أهل البادية ، وإن كانت سهلة لينة ، وليست كالالفاظ البدوية غامضة شديدة ، ولا ريب بعد هذا فى أن عديا من هذه الناحية أيضا يفضل امرأ القيس ، ولا فى أن ألفاظه فى لينها ورقتها خير من ألفاظ امرىء القيس فى غموضها وشدتها ، وقد كان عدى يسلك فى ذلك مسلكا متسقا منسجما ، أما امرؤ القيس فيخلط فى ذلك

خلطا ظاهرا ، ويسير فى طريق مضطرب فيه علو وانخفاض ، ووعورة وسهولة ، وغموض ووضوح ، فيفقد بذلك جمال التناسق ، ويحرم حسن الانسجام ، ويظهر فى صورة مشوهة ، لاتناسب بين ألوانها ، ولا التئام بين أجزائها ، وقد أوقع امرأ القيس فى ذلك ما كان فى عيشه من لين وخشونة ، وأخذه بشيء من التنعم فيما كان يحيط به من مظاهر البداوة ، والذين يقدمون امرأ القيس بذلك ويؤخرون عديا برقة ألفاظه إنما هم قوم يزعمون أن الكلام الفصيح ما كان فى ألفاظه عنجهية الغرابة ، وبعد عن الافئدة الاحاطة بمعناه ، وعز عن الافهام إدراكه ، وهذا كما قال صاحب كتاب الطراز (١) جهل بمحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة ، فانك ترى ألفاظ القرآن والسنة النبوية مع بلوغهما كل غاية من الفصاحة بحيث لايدانيهما كلام في غاية البيان والظهور بالاضافة الى ألفاظهما ، وفى نهاية القرب بمعانيهما ، وقد وصف الله كتابه الكريم بأنه بيان وتبيان ، ولهذا فانه لا يكاد يشكل من ألفاظ القرآن والسنة على أحد إلا من جهة التركيب لاغير ، فأما مفرداتهما ففي غاية الوضوح والبيان والظهور . وهذا يرجع عندى إلى أن القرآن فى إجماله نزل بلغة أهل الحضر ، وهم قريش بمكة ، والاوس والخزرج بالمدينة ، ولم ينزل إلا قليل منه بلغة أهل البادية

فلا يصح بعد هذا أن يؤخذ على عدى سهولة شعره كما أخذها عليه الاصمعي وغيره ، ولا أن يكون لها تاثير في تأخير منزلته في الشعر كما أخروه بها ، حتى أسقط بعضهم الاحتجاج بشعره لعدم خلوص عربية بيئته ، فاذا سلمنا لهم أن هذا يؤثر فى الاحتجاج بشعر عدى وأن يؤخذ فى هذا

(١) جـ١ ص ١١٥ من كتاب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز

بذنب البيئة التي نشأ فيها ، فان ذلك لا يمكن أن يؤثر في شعره من جهة جمال لفظه ، وحسن معناه ، وما إلى هذا من وجوه جودته في ذاته ، بقطع النظر عن أنه يحتج به أو لا يحتج به . فحسن الشعر في ذاته شيء والاحتجاج به شيء آخر ، والعربي الجلف يحتج بلغته لانها سليقة له وان لم تصل إلي لغة الشعر في بلاغتها وفصاحتها ، فلا يصح أن يخلط بين ذينك الامرين كما يفعل الاقدمون ، ولا أن يقدم الشعراء الذين يحتج بشعرهم في الاطلاق على غيرهم ، وكم من شاعر لا يحتج بشعره لانه محدث أو نحو ذلك أقوى شاعرية ممن يحتج بشعره لانه جاهلي أو مخضرم أو إسلامي

ولذا يفترق امرؤ القيس وعدي في ألفاظهما ومعانيهما من تلك الجهة يفترقان أيضاً فيها من جهة أن امرأ القيس يقصد في شعره إلي الصناعة ، ويكثر في كلامه من التشبيهات والاستعارات والمجازات والكنايات ، ويأتي في ذلك أحيانا بتشبيهات جميلة ، واستعارات رائعة ، وأخيلة لطيفة ، وتصورات بديعة ، أما عدي فيقتصد في ذلك ، ويؤثر في كلامه أن يأتي به جميلا في ذاته ، عاطلا من تزويق تلك التشبيهات والاستعارات ، ولا شك أن كلا منهما يمثل في ذلك بيئته أيضاً ، فامرؤ القيس في بيئته البدوية لا يرى في الزينة إلا أن تكون كثيرة الالوان ، مختلفة التصاوير ، كالبدوي في سذاجته تعجبه الثياب الملونة اكثر مما تعجبه الثياب الجيدة المتينة ، وعدي في بيئته الحضرية لا يعجبه في الزينة أن تكون كثيرة الالوان ، مختلفة التصاوير ، وإنما يعجبه فيها انسجامها واتساقها ، ومحاسنها الذاتية الناشئة عن جمالها في ذاتها ، لا عن صناعة أو نحوها فيها ، ولا ريب أن الالفاظ والمعاني الجميلة في ذاتها أتم جمالا من المعاني التي تستفيد جمالها من التفنن في تشبيه أو استعارة ، لأنك إذا جردتها من التشبيه والاستعارة زال عنها جمالهما ،

وبقيت وحدها ولا جمال لها ، ولهذا يجب أن يقتصد فى الكلام من التشبيهات والاستعارات وماإليهما من الصناعات المعنوية واللفظية ، لئلا يتخذ ذلك وسيلة لستر ماوراءها من المعانى الاصلية التى لايكون لها قيمة ، ولا تتضمن شيئا من الجمال الذاتى ، وهذا هو القرآن الكريم لاتجده أيضاً يسرف في تلك التشبيهات والاستعارات ، وانما يعتمد على قوة المعنى فى ذاته ، وجماله فى نفسه ، ثم يقصد بعد هذا في الفينة بعد الفينة إلى تلك الحلي الصناعية ، ويأتى كلما طال الفصل بالتشبيه بعد التشبيه ، والاستعارة بعد الاستعارة ، ولا يتكلف من ذلك مايتكلفه امرؤ القيس وغيره ، ومع ذلك فالقرآن صاحب البلاغة المعجزة ، ولاتذكر بلاغة امرىء القيس ولا غيره معه

فاذ قطعنا النظر عن تزويقات امرىء القيس فىذلك ، وعن تكلفاته فيها مالم يكن يتكلفه عدى ، لانجد له الا معانى تافهة لاوزن لها فىالحياة ، والا مجونا وعبثا لا قيمة لهما فىذاتهما وان اجتهد فىتصويرهما ، وأعمل خياله فى تزويقهما ، وماذا تفعل أنواع الطلاء فىوجه الشوهاء ؟ وماذا تغير يد المصور من الصورة القبيحة ؟ وقد يحدث ذلك تأثيرا فىالنفس وإعجابا به ، ولكنه تأثير خادع كالسحر مضلل كالكذب والغش ،يذم أكثر مما يمدح، ويعاب أكثر مما يحمد (١)

أوزانهما : وهذه ناحية تفيد الموازنة بين الشاعرين فيها أيضا ، فاذا وازنا بينهما من ناحيتها وجدنا أن عديا كان أكثر فيها تصرفا من امرىء القيس،ورأينا أنهأقدر منه عليها ، فامرؤ القيس لميتناول من أوزان الشعر

(١) قد ذهب بعضهم فى قوله صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا) إلى أنه ذم للبيان الذى سمعه وقال هذا فيه

فيما روى أبو حاتم عنه إلا بحور الطويل والوافر والرمل والسريع والمديد والرجز والمنسرح والكامل والمتقارب ، فقد استعمل شعره فى تسعة بحور من الشعر ، ولكنه أفرغ معظمه فى بحر الطويل من هذه البحور ، فكل طواله من هذا البحر ، وأكثر مقطعاته منه أيضا ، وليس منها إلا ست من بحر الوافر ، وفى كل بحر من البحور الباقية واحدة فقط ، ويخيل إلى أن بحر الطويل يمت إلى البدو دون الحضر ، لأن وزنه سهل قريب المتناول ، فكان شعراء البادية يؤثرونه على غيره من البحور والاوزان التى لا يسهل على مثلهم تناولها ، ولا تصل مداركهم إلى ادراك نغماتها وموسيقاها ، أما أهل الحضر فكانوا يعرفون كل نغمات البحور ، ويدركون من جمال موسيقاها مالا يدركه أهل البادية ، وكان فن الغناء فى الحواضر العربية لا ينقص فى ذلك العصر عما بلغه بها فيما بعده من العصور ، فساعد شعراءها على تهذيب ذوقهم ، وترقية وجدانهم ، فألفوا من تلك الاوزان مالم يألفه غيرهم

وقد جاء أكثر شعر عدى فى هذه البحور (الخفيف والرمل والوافر والبسيط والمنسرح والكامل والمديد والسريع والطويل) وأكثر شعره موزع بين هذه البحور خصوصا البحور الاولى منها ، ولم يأت منه فى الطويل الذى أولع به امرؤ القيس الا بجمهرته المشهورة

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد

فيمكننا أن نفضل عديا على امرىء القيس من هذه الناحية أيضا ، وأن نحكم بان شعره كان أجمع منه أوزانا شعرية ، وأجمل منه نغمات موسيقية

موزانات خاصة بينهما : وقد اخترنا لها أشعارا لكل منهما تواردا فيها

على موضوعات متوافقة ، وأمور متشابهة ، فكان عدى أكثر فيها تصرفا ، وأقدر على ابتداع المعانى والتفنن فيها ، فلا يترك موضوعه حتى يستوفيه ،

ولا يدارى قصوه فيه بالهرب منه إلى موضوع غيره ، ومن هذا قول امرىء القيس فى عاذلته على لهوه ولعبه :

فبعض اللوم عاذلتى فانى ستكفينى التجارب وانتسابى
إلى عرق الثري وشجت عروقى وهذا الموت يسلبنى شبابى
ونفسى سوف يسلبها وجرمى فيلحقني وشيكا بالتراب

ثم مضى بعد هذا يفتخر بنفسه إلى أن انتقل من الفخر إلى ذكر مصارع آبائه كما سبق ذلك فيما اخترناه من شعره

وقد قال عدى فى ذلك من داليته :

وعاذلة هبت بليل تلومني فلما غلت فى اللوم قلت لها اقصدى
أعاذل إن اللوم فى غير كنهه على ثنى من غيك المتردد
أعاذل إن الجهل من لذة الفتى وان المنايا للرجال بمرصد
أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه اذا لم يسدد
زرينى فانى إنما لى ما مضى أمامى من مالى إذا خف عودى
وحمت لميقاتى إلى منيتى وغودرت قد وسدت أو لم أوسد
أعاذل من لا يصلح النفس خاليا عن الحي لا يرشد لقول المفند
كفى زاجرا للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدى

ثم يمضى فى هذا الضرب من الكلام لا يلوى به القصور عن المعاني إلى موضوع آخر يدارى به قصوره ، وفى هذا الشعر آثار كثيرة من تلك الدراسات العالية التى أتيحت لعدى فى شبابه ، واطلع بها على علوم دينية واجتماعية لم تتح لغيره

وقال امرؤ القيس فى محبوبته :

تصد وتبدى عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش   إذا هى نصته ولا بمعطل
وفرع يغشى المتن أسود فاحم   أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلا   تضل المدارى فى مثنى ومرسل

وقال عدى فى ذلك :

زانها حسنها وفرع عميم   وأثيث صلت الجبين أنيق
وثنايا مفلجات عذاب   لاقصار ترى ولاهن روق

فيمثل عدى فى هذا رقة الحضارة وتهذيبها وأناقتها ، ويمثل امرؤ القيس فى ذلك خشونة البداوة فى ألفاظه وتشبيهاته ، خصوصا تشبيهه شعر المرأة بقنو النخلة المتعثكل

وقال امرؤ القيس فى وصف الخمر :

فظللت فى دمن الديار كأننى   نشوان باكره صبوح مدام
أنف كلون دم الغزال معتق   من خمر عانة أو كروم شبام
وكأن شاربها أصاب لسانه   موم يخالط جسمه بسقام

وقال عدى فى ذلك :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت   قينة فى يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد   يك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما   مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقاقيع كاليا   قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب   غير ما آجن ولا مطروق

فخمر عدى حضرية نقية لذيذة ، وشاربها مهذب لا يذوقها الا بعد أن يخفف من حدتها ، ويمزجها بما يلذ معه طعمها، فلا تورثه سقاما ولا خبلا ، ولا تصير به الى سكر وعربدة ، وخمر امرىء القيس بدوية شديدة ، وشاربها

مسرف فى شربها سكير معربد ، وهذه هى الاغراض الشعرية التى كان امرؤ القيس يبدىء فيها ويعيد ، ويكثر من ذكرها فى كل قصيد ، فكيف بالاغراض الاخرى التي تفرد بها عدى ولم يحم حولها امرؤ القيس ؟ وخصوصا ذلك الشعر القصصى التاريخي والديني ، وهو الذى بلغ من أمره فى عصرنا أن يزري علي الادب العربى كله بنقصه فيه

ونحن لا نتردد بعد هذه الموازنة فى الحكم لعدى على امرىء القيس ، ولا في تفضيل ذلك النوع من الشعر العالى النبيل الذى يباهى به العرب غيرهم من الشعوب ، وتفاخر به لغتهم فى قديمها غيرها من اللغات ، على ذلك الشعر العابث الذى لا يعنى الا بشؤون امريء القيس وحده ، ولا يصرفه إلا فى لهوه ومجونه وشهوة نفسه فى الانتقام من أعدائه ؛ ولا يعنى بعد هـذا بشيء من الامور العامة فى الدنيا أو الآخرة ، وإذا كان لامرىء القيس محاسن فانما هى محاسن جزئية فى تصرفات لفظية ، وإنه ليتضاءل أمرها عند موازنتها بهذه المحاسن المذكورة لعدى ، خصوصا إذا كان لامرىء القيس أمور تؤخذ عليه من نوع محاسنه ، ولا تكاد تقل عنها فى عددها ، ولا يكاد ينقص مقدار سقوطه فيها عن مقدار إجادته فيما أحسن فيه منها

وإن كثيرا من الامور التي عدوها فى محاسن امرىء القيس من تشبيهاته واستعاراته وسائر تصرفاته لم يبق لها حسنها بعد أن عملت الحضارة عملها فى الامة العربية بعد الاسلام ، فتغير فيها نظر الناس إلى تلك التصورات البدوية ، وأصبح كثير منها مستهجنا عندهم ، ومن ذلك تلك المطالع التشبيبية ببكاء الاطلال ، والوقوف عند الديار ، فقد أصبحت كلها من المطالع المستهجنة ، حتى مطالع امرىء القيس التى كانوا يعدونها أحسنها ، وفى هـذا يقول أبو نواس :

صفة الطول بلاغة القدم　　فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وقد كان العرب فى جاهليتهم أصحاب دمن وأطلال ، ثم أصبحوا من أهل الحضارة ، فدانت لهم الدنيا ، وملكوا القصور والبساتين ، وعاشوا فى فى ذلك عيشة سكون واستقرار ، وزال عنهم ما كانوا فيه من عيشة التنقل والارتحال ، فلا معنى فى هذه الحالة الجديدة لبكاء الدمن والاطلال ، وإذا كان العرب الذين بقوا فى البادية قد استمروا فى عيشتهم على ما كانوا عليه فى جاهليتهم ، فقد يكون لشعرائهم أن يستمروا على بكاء أطلالهم ، وقد لا يكون لهم ذلك بعد أن صرفهم الاسلام عنه إلى أمور كثيرة أهم منه ، ولم يرض لهم هذه البداوة وما فيها من سذاجة وعنجهية

وقد ذكرنا فيما كانوا يعدونه من محاسن امرىء القيس أنهم كانوا يعدون قوله :

فما ذرفت عيناك إلا لتضربي　　بسهميك فى أعشار قلب مقتل

أرق بيت قالته العرب ، فلما كان عصر الدولة العباسية ، ورقت الاذواق العربية ، لم يعد هذا البيت أرق ما قالته العرب فى معناه ، بل كان غيره أحق منه بهذه الميزة فيه ، قال عبد الاعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحى : حملت دينا بعسكر المهدى فركب يوما بين أبى عبيدالله وعمر بن بزيع ، وأنا وراءه فى موكبه على برذون قطوف ، فقال ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال له أبو عبيد الله قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى　　بسهميك فى أعشار قلب مقتل

فقال هذا أعرابى قح ، فقال له عمر بن بزيع قول كثير يا أمير المؤمنين :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما　　تمثل لى ليلى بكل سبيل

فقال ماهذا بشيء وماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له ، فقلت عندى حاجتك ياأمير المؤمنين جعلنى الله فداك ، قال الحق بي ، قلت لاحاق بي ليس ذلك فى دابتى ، قال احملوه على دابة ، قلت هذا أول الفتح ، فحملت على دابة فلحقت ، فقال ما عندك ، فقلت قول الأحوص

إذا قلت إني مشتف بلقائها   فحم التلاقي بيننا زادنى سقما

فقال أحسن والله اقضوا عنه دينه ، فقضى عنى دينى

وقال الجاحظ كم بين قول امرىء القيس :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا   عقرت بعيرى ياامرأ القيس فانزل

وبين قول على بن الجهم :

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة   وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة   من الراح فيما بيننا لم تسرب

فهذا هو شأن تلك المعانى الجزئية التي تبنى عليها زعامة امرىء القيس لشعراء عصره ، بل لشعراء العربية فى جميع عصورها ، فلا يصح أن تستقل ببناء مجد شاعر ، ولا يمكن أن تثبت عليها زعامة من الزعامات الشعرية ، لعدم انضباطها ، ولا ختلاف أذواق الناس فيها ، فلا يمكن أن تستقر زعامة تبنى عليها

عدي وأمية

إذا كنا قد خرجنا من هذا الميزان الصحيح الذى وضعناه للشعر بايثار عدى بزعامة الشعر الجاهلي على امرىء القيس ، فان هناك شاعرا من شعراء عصر الجاهلية اجتمع له من أسباب الثقافة العلمية والادبية ما اجتمع لعدي ، واستخدم الشعر العربى فى نحو تلك الاغراض العالية التى استخدمه عدى فيها ، ونال من تعصب الاقدمين عليه ما نال عديا أيضا ، وذلك الشاعر هو أمية بن أبى الصلت شاعر الطائف ، وهى من حواضر الحجاز المشهورة ، ومن أمثلة شعره فى تلك الاغراض العالية قصيدته فى قصة الذبيح ، وقد ترجمها إلى العربية من التوراة :

سبحوا للمليك كل صباح   طلعت شمسه وكل هلال
ولابرهيم الموفى بالنذ   ر احتسابا وحامل الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه   أو يراه فى معشر أقتال
أبنى إنى نذرتـك لله   شحيطا(١) فاصبر فدى لك حالى
واشدد الصفد(٢) لا أحيد عن السـ   ـكين حيد الاسير ذى الاغلال
وله مدية تخايل فى اللحـ   ـم حذام(٣) حنية كالهلال
بينما يخلع السرابيل عنـه   فكه ربه بكبش جلال
فخذ اذا فأرسل ابنك إنى   للذى قد فعلتما غير قالى
والد يتقى وآخر مولو   د فطارا منه بسمع فعال
ربما تجزع النفوس من الام   ر له فرجة كحل العقال

ولكن أمية كان مع هذا يتكسب بشعره ، ويستعمله فى ذلك المدح التجارى.

(١) ذبيحا (٢) القيد (٣) قاطعة

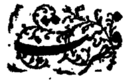
عند عبد الله بن جدعان من أشراف قريش وغيره ، فلما جاء الاسلام انقلب من ذلك الشعر الصالح الى شعر آثم يناهض به دعوة الاسلام، ويحاول إعلاء كلمة الشرك على كلمته ، وهذا كله مع سبق عدي له فى تلك الاغراض ، فامتاز عدي عليه من تلك النواحي ، واستحق بعد هذا كله أن نعقد له لواء الزعامة على شعراء عصره من أوله إلى آخره

تم

يوم الاثنين ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٥٢ هـ — ٩ إبريل سنة ١٩٣٤ م —

فهرس الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٤	يريد	نريد	٦٣	١١	يثلبها	يسلبها
١٤	٧	التعصيب	التعصب	٦٥	٢	إذ	إذا
٢٦	٤	الوارثي	الوراثى	٦٦	٥	عشيتها	غشيتها
٢٦	١١، ١٣	داود	دواد	٦٨	٢١	إذ	إذا
٢٦	١٣	رواية	راوية	٦٩	٥	خوض	خوص
٢٩	١٢	أعرافك	أعراقك	٧٠	٢	جريح	جريج
٤٣	١٧	خر	آخر	٨٥	٣	لمن	لم
٤٨	١٩	هل عندكم	هل لى عندكم	١٠٣	٨	وحياد	وجياد
٤٨	٢٠	خازم	أبى خازم	١١٠	٧	بالذهر	بالدهر
٥٥	٧	فاجمل	فأجملى	١١٥	٥	مشَكاة	مشْكاة



الصفحة	الفصول
٣	خطبة الكتاب
٤	ميزان الشعر
١٠	الشعر الحضرى والبدوى
١٥	امرؤ القيس
١٧	نجد
١٩	كندة وتغلب
٢٥	حياة امرىء القيس
٣٤	عقيدة امرىء القيس
٣٧	لغة امرىء القيس وشعره
٤٠	جمع شعر امرىء القيس
٥٢	شعر امرىء القيس فى لهو حياته
٥٤	مختارات من شعره فى لهوه
٥٩	شعر امرىء القيس فى جد حياته
٦٣	مختارات من شعره فى جد حياته
٧١	منزلة امرىء القيس فى الشعر ومحاسنه عندهم
٧٦	مآخذه عندهم
٨٤	عدى بن زيد
٨٥	الحيرة
٨٧	آل عدى بالحيرة
٨٩	حياة عدى
٩٤	لغة عدى وشعره
٩٦	جمع شعر عدى
٩٩	شعر عدى
١٠١	مختارات من شعره فى الحكم
١٠٤	مختارات من شعره القصصى
١٠٨	مختارات من شعره فى سجنه فى الاعتذار ونحوه
١١١	مختارات من شعره فى فنون الشعر المعروفة
١١٣	منزلة عدى فى الشعر ومآخذه عندهم
١١٨	محاسنه عند بعضهم
١٢٠	الموازنة بين الشاعرين فى سيرتهما
١٢٢	الموازنة بين الشاعرين فى شعريهما
١٣٤	عدى وأمية